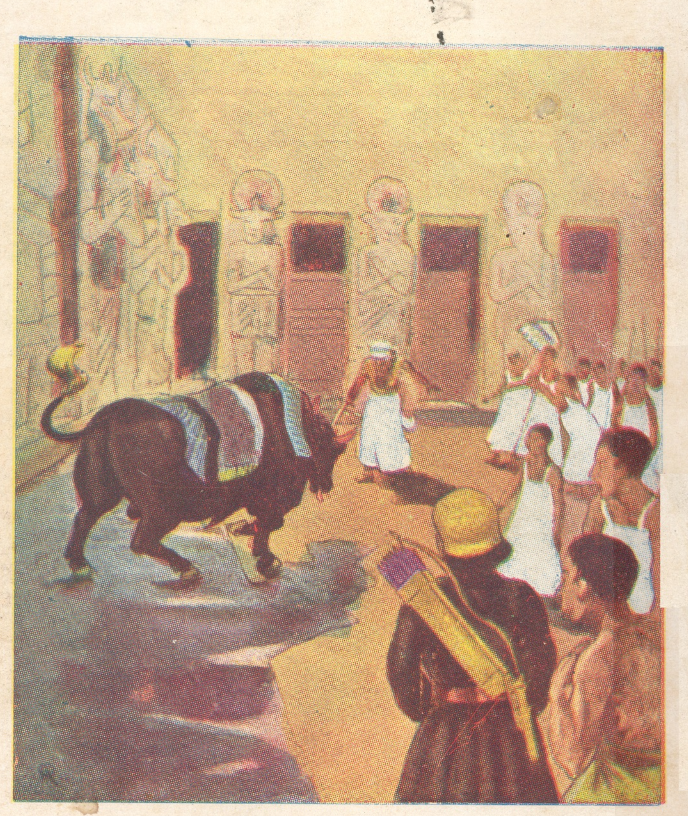
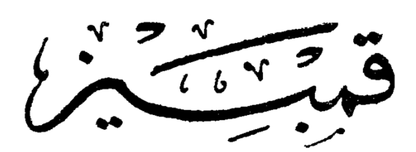
قمبيز

تأليف

أحمد شوقي بك





تأليف

المرحوم أحمد شوقي

يطلب من :

المكتبة التجارية الكبرى

بمصر ص . ب ٥٧٨

تمهيـــد

(١) زمن الرواية : القرن السادس قبل الميلاد .

(٢) مكان الرواية : مصر
- منفيس : عاصمة مصر .
- صالحجر : مقرّ البلاط .

فارس
- سوس : عاصمة الفرس .

(٣) أشخاص الرواية :

أمازيس : فرعون مصر .

بسامتيك : ابن أمازيس وولى العهد .

نفريت : ابنة أمازيس .

نتيتاس : ابنة فرعون أبرياس المقتول .

قمبيز : ملك الفرس .

ثاسو : حارس فرعون .

تتى : وصيفة الملكة نتيتاس .

فانيس : كان قائداً فى الجيش المصرى ثم التحق بالجيش الفارسى

رجال الوفد الفارسى .

رجال البلاط الفرعونى .

فؤاد — جند : من الفرس .

سانحر — راقصات — أقزام —
نواب — حجاب — خدام } مصريون .

*

الفصل الأول

المنظر الأول

« بالقرب من غرفة فرعون أمازيس الخاصة — »
« تاسو حارس فرعون — الأميرة نفريت ابنة الملك»

تاسو : نفريت ؟

نفريت : تاسو هاهنا ؟

تاسو : وهل أُرى إلا هنا ؟
أحومُ حول صنمى وحول هذى القَدَم

نفريت [تنظر إلى رجلها] :
حول رجلى أنا ؟

تاسو : أجل حول هذا الشُّهْد والزُّبْد والنمير الصافى
ما بِك يانفريتُ ما هذا الأسى ؟
ما بالُ عينيكِ تريدان البكا ؟

نفريت : تسألنى ما بى ألم تعلم بما
جرى ويجرى من فجائع القضا

تاسو : ماذا جرى؟ ماذا لقيت ملكتى

من القضاء؟ مُهْجتى لكِ الفدا

نفريت : كيف لقد كان حسابى أننا بخطبةَ الفُرْس تَحطَّمنا معا

تاسو : إذن فهذا الغمّ من جرّائها

وأنتِ تخشَيْنَ الرحيلَ والنوى

نفريت : وأنت يا تاسو ألم تحزنْ؟

تاسو : أنا ؟ أحزنُ ياسلطانةَ الفُرْس أنا؟

لقد ودِدْتُ لو ملَكت كلَّ ما

دبَّ على الأرض وطار فى السما

نفريت : وفُرْقتى تاسو ألم تحزنْ لها ؟

تاسو : ولِمْ وفى الفرس يكون الملتقى

نفريت : فى فارسٍ ! فى قصر زوجى نلتقى!

يا عجباً ماذا تقولُ يافتى ؟

تاسو : لِم لا أليس فى القصور سعةٌ؟ نحن هناكَ مثلُ ما نحن هنا

نفريت : هذا الغباءُ منك تاسو عجبٌ ليس المكانان على حدٍّ سوا

هنا أبى إذا بكَيْتُ رقّ لى　　وإن شفعتُ لكَ عنده عفا

تاسو : وثَمَّ ؟

نفريت: وحشٌ فى إهاب بَشَر　　يَقْتُلُ من يلَقْ

تاسو : أمون نجنا !

وماذا اعتزمت ؟

نفريت: اعتزمتُ البقاء بمصرَ وفى ظلّ هذى الحُجَرْ

وبالقُرْب منكَ ومن والدىَّ　　ومن إخوتى وذوىَّ الأُخر

وبين وصيفاتى المُشْفِقاتِ　　ومن لاذ بى من بنات الأُسر

تاسو : ولكن تُرى كيف تجرى الأمو　　رُ إذا علمتْ فارسٌ بالخبر

وقيل لقمبيزَ فرعونُ خالـ　　ـفَ وابنةُ فرعونَ لم تَأْتمر

نفريت: ليجر بما شاء تاسو القضاء　　ليجر بما شاء تاسو القَدَر

لتُخْسَفّ بقوم عليها البلادُ　　ليستأخرِ النيلُ أو ينفَجِر!

فأما أنا فسأبقى هنا　　وإن غَضِبَتْ فارسٌ والنمِرْ

فما الفرسُ لى بالصحاب الكرام

ولا لَى فى مُلْكهم من وَتَرْ

[تدخل الأميرة نتبتاس]

نفريت: من المُفاجى (نتيتا) ؟

نتيتاس: نفريتُ تاسو سلامُ

نفريتُ أصغى لتولى فلى إليك كلامُ

نفريت: تكلمى واقتصدى

نتيتاس: ولم أزل مقتصده

نفريت: أتيتنى شامتةً

نتيتاس: لا بل أتيتُ مُسْعِدَه

آمون قد مدّ إليك والى الوادى يده

وقد كفى مصرَ البلا ، والخطوبَ المُرْعِدَه

وكفَّ عن ربوعنا نارَ المجوس الموقَدَه

نفريت: وكيف نتيتاسُ ماذا ما الخَبرْ ؟

كيف جرى غيرَ مجاريه القدرْ ؟

تاسو : ما الأمر يا سيدتى !

نتيتاس: وأىُّ شأنٍ فيه لكْ

إن الذى عندىَ لا يُقال إلا للملكْ

نفريت: عجِّلى إذن . قابلى أبى . أسرعى الخطى . اذهبى اذهبى
وأسأليهِ ما شئتِ . واطلبى

نتيتاس: ما ذاك ما ذا تقولين فكّرى يا نَفَرْتُ
ما جئتُ أطلب مالاً ولا لهذا حضرتُ
ولا بشأنك يا بنتَ آمازيس افتكرتُ

نفريت: ففيمَ إذن جئتِ يا نتيتاسُ وفى أى شأن نقلتِ القَدَمْ؟

نتيتاس: أتيتُ لمصلحة الآخرين وجئتُ لشأنٍ جليل العِظَمْ
أتيتُ لأفدى بنفسىَ البلادَ وأدفعَ عن مصرَ شرَّ العَجَمْ
فإنكِ إن ترفضى يزحفوا كزحف الذئاب ونحن الغَنَمْ
فأين أبوك ؟

نفريت: تُلاقينَهُ هنالك فى حجرات الصَّنَمْ

نتيتاس: سأمضى إليه

نفريت [بتهكم] : اذهبى

نتيتاس: أفدى البلادَ نعم أنا أفدى بلادى نعم

[تخرج]

نفريت: يا ويحها قد ذهبت دعنى تاسو واذهب

[يخرج تاسو]

« يدخل فرعون إلى غرفته الخاصة وهى حجرة صغيرة أرضيتها من الخشب »
« الملون وفيها بضعة كراسى خفيفة الوزن لطيفة الصنع وفى زواياها الأربع »
« تماثيل للآلهة المصرية ، فرعون أمازيس وابنته نفريت مقبلة عليه »

نفريت: سلامٌ يا ضُحى الشمس ويا غُرَّةَ آبيس
ويا حامىَ سايِيس ويا حارسَ منفيس

فرعون: سلامٌ شبهَ هاتور سلامٌ شبهَ إزيس

نفريت: أبى بل نادنى يا بنـ ـتَ فرعونَ أمازيس

فرعون: تعالَىْ أقبلى يا بنـ ـتَ فرعونَ أمازيس
وفى أىّ جليل أو صغير يا تُرَى جئْت
تعالَىْ يا بُنَيَّتى قولى سَلى فرعونَ ما شئْت

نفريت: أبى كُنْ لى فقد أظلـ ـمت الدنيا بعينَيَّا

فرعون: سأجْلُو ظُلمةَ الدنيا وأمحوها بكفيَّا

[تغرورق عيناها بالدموع]

بِنْتَاه

نفريت: ربَّاه أبىِ

فرعون: ما للأميرةِ باكيه !

هَلَّا ادَّخرتِ لمصْرعى هــــذى الدموع الغاليَهْ

نفريت : لا بل تعيشُ أبى وتبْــقَى فى ظِلالِ العــافيه

أبتِى تهيَّـــأَ كل شىءٌ للنَّوَى المُتَرامِيَه

فغَداً تضُمنى القصـــورُ بل القبورُ الجافيه

فى ألفِ جاريةٍ لقمــبيز هنـــاكَ وجاريه

من كل مُرسَلةٍ هنــالكَ كالبهيمـــةِ ساليه

فبــأىّ قلبٍ يا مليــكُ تَزُفُّــنى للطاغيَهْ

أدرِكْ فتاتَك قد ضعفْــتُ عن احتمال الداهيَه

[تدخل نتيتاس على فرعون أمازيس فتخرج نفريت]

فرعون : مَن أرى ؟ إنه لحظٌّ عظيمٌ نتتاس بنت الفراعين عندى

نتيتاس : التَّحايا لعرشِ مصرَ المُفدّى من أبى ساكن السماء وجدّى

فرعون : وسلامُ الذى على عرش مصرَ لا تؤدينـــه ؟

نتيتاس : وكيف أؤدّى ؟

ليس بينَ ابنَةٍ وساقى أبيها غصة الموت من سلامٍ وردّ

إن حقدى عليك دِينٌ وبِرٌّ ربّ لا يذهب العقوق بحقدى

فرعون : احملي الحقدَ لي أو اطْرحيه وتمنَّىْ عليَّ جاهي ورِفدي
اسألي تسألي أباك

نتيتاس : معاذ الدمِ فرعونُ ليس دنياك قصدي

فرعون : فيمَ قد جئتِني إذن

نتيتاس : فى حقوق لدياري وواجب نحو مَهدي
كلُّ عامٍ صبيةٌ من بنات الشعبِ
تختارُ للفداء فتفدِي
تنزِلُ النيلَ غيرَ عائفةٍ ما فيه للموت من حياض ووِرْد
سمحتْ بالحياة فى غير سأمٍ
وسَخَتْ بالشباب فى غيرِ زُهدِ
تبتغى الخِصْبَ والرخاءَ وتحتا لُ لعيشٍ بنعمةِ النيل رَغد
سقتِ الناسَ بعدَها لم تقلْ قو لَ الأنانىِّ : يهلكُ الناسُ بعدى

فرعون : قد عرفنا فهل تريدينَ منا أن تكونى التى تُزفُّ وتُهدى

نتيتاس : تلك مدفوعةٌ يقدِّمها الكُهانُ
لكننى تقدَّمتُ وحدِي

[مستمرة]: جئتُ أفدى وطنى من سيفِ قمبيزَ ونارِه
جئتُ أفدى وطنى من دَنَس الفتحِ وعاره

فرعون: ماذا تقولين فيمَ جئتِ ؟ قمبيز؟الفتحُ؟مصر؟فارسْ؟

نتيتاس: نفريتُ تأبىالمسيرَ هب لى مكانَها منك يا أمازسْ

فرعون: أنت التى تذهبين ؟

نتيتاس: لم لا ؟

فرعون: هذا هو النُّبلُ يا نتاتِسْ
بخٍ بخٍ بنتَ أخى

نتيتاس [فى استنكار]: أنتِ يا قاتلَ عمىِّ ؟ ؟
لا . . . أبى . بأبى وأمىِّ

فرعون: لا تدفعى نتيتَ بى ولا تَهيجى غَضَبى

نتيتاس [كالمستهزئة]: تقتُلُنى مثلَ أبى !

[تظهر نفريت بالباب]

فرعون: مَن ذا أرى نفريت،هيا أدخلى لا تقف الأقمارُ بالباب

نفريت: تحيةُ الشمسِ لسارع أبى تحيةُ المعبودِ آمون

فرعون: أتيتِ لِوَفْقِ الأمرِ نفريتُ أقبلى
تعَالَىْ أنبئْكِ الجليلَ تمَالِى

نفريت: أبى لا جليلَ اليوم إلا مُصيبتِى
فرعون: ولكنها قد آذنتْ بزوال
نفريت: وكيف وأنَّى؟
فرعون: انظرى مَنْ بمجلسى وأىُّ رسولٍ للسماءِ حِيالى
إلهٌ لعمرى فى قميص أميرة سعى للك يحبوعونَه وسعى لى
نفريت: نتيتسُ أختى ؟
نتيتاس [نفسها]: أُختُها ما أضلَّها متى كان بيتى مجرمينَ وآلى
نفريت [لأبيها بعد أن سمعت نجواها]
أبى ألهذا تجمعُ اليومَ بيننا وما لابْنَةِ المَلْكِ القديم ومالى
فرعون: لقد بعَثَتْها الشمسُ من عرشِ مجدِها
شعاعَ هدى من حَيْرةٍ وضلالِ
تُزَفُّ إلى قمبيزَ فى موضع ابنتِى
وفى موكب من وَفدِه ورجالى

نفريت: نتيتاس

فرعون: قولى بنتَ فرعون

نتيتاس: أعفِهـــا

نفريت: ولِمْ

نتيتاس: ذاك عهدٌ يا أميرةُ خالى

فلا يستوى المُلْكُ القشيبُ جلالُه

وآخرُ مخلوعُ الجـــلالةِ بالى

نفريت: أحقٌّ نتيتا ما روَى المَلْكُ

نتيتاس: ما روَى أبوكِ صدَى صوتى ورجْعُ مقالى

نفريت: رويداً نتيتا راجعى الرشدَ إنّما

تُضحِّين يا أختى بأنفس غـــالى

تُضحِّين بالدنيا الجميلة والصِّبا وهذا الفضاء السافر المُتَلالى

أحقٌّ عقدتِ العزمَ ؟

نتيتاس: بعد رويَّة وأقنعتُ نفسى بعد طول نضال

ومالى لا أعطى الحياة إذا دعتْ بلادى. حياتى للبلاد ومالى

« ســتار »

المنظر الثـــانى

« حجرة عظيمة فى قصر فرعون — وفد من الفرس ينتظر رسول»
« الملك أمازيس ، هنا وهناك فى الحجرة نفر من حاشية فرعون »

رئيس الوفد: لقـــد جُلتُم فى بلدة العجل جَوْلةً
وما بَرِحتْ بالزائرينَ تُجابُ
فكيف وجدتم قدم فرعون؟

قمبـــاذ : أمـــةٌ
إذا هىَ قيستْ بالشعوب عُجابُ
لهم مثلَ ما للأُسدِ بالجنس عِزةٌ
ضوارى الفلا عندَ الأسودِ كلابُ
هُم الشهْبُ والناسُ الجنادلُ والحَصى
وتِبرُ الثَّرى والعالَمُون تُرَابُ
وكُلُّ الذى صاغُوا من الفنِّ آيةٌ
وكلُّ الذى قالوا هُدًى وصَوابُ

الرئيس : خطبْنا إليهم أمس بنتَ مليكهم

فما كان إلا الاحتقارَ جوابُ

وأشفق أهلوها وقالوا حمامةٌ

دعاها إلى الوكرِ السحيق عُقابُ

[ثم يعرض ببصره رجال القصر من المصريين]

تأمَّل (قباذُ) القومَ وانظر وجوهَهم

وجوهٌ عليها للهموم سَحابُ

ألستَ تراهُم كلّما نقّلوا الخُطى

لهم جيئةٌ من ريبةٍ وذهابُ

قبـــاذ : ولكنهم ما قصّروا عن ضيافةٍ

طعامٌ ونُزْلٌ طيِّبٌ وشـرابُ

وخمرٌ فنيقيٌّ بأيدى سُقاتِها لها نفحةٌ مِسكيّةٌ وحُبابُ

وماذا علينا أن تضيقَ وجوهُهم

إذا لم تَضِق ساحٌ لهم ورحابُ

« وعلى أثر ذلك يخاطب رجل آخر من الوفد صديقاً له »

« فى ناحية أخرى من الحجرة وكان عائداً هو أيضاً من المدينة »

الرجل : زفيروس ، من أينَ ؟

زفيروس: من جولة بمنفيس

الأول : كيف وجدت البلد ؟

وكيف احتقارهم للغريب إذا قام فى شأنه أو قعد

وكيف عيونهم حوله إذا حملته احتمالَ الرمد

زفيروس: وجدتُ وجوهاً عليها النعيمُ ودنيا على جانبيها الرَّغَدْ

وسوقاً تفض وسوقاً تقامُ وخلقاً يروحُ وخلقاً يفد

وشعباً على خطةٍ فى الحياةِ ونظمٍ به فى الشعوب انفرد

ولم أرَ مثلَ صناعاتهم سمواً وبعداً على المنتقد

ولا مثلَ أخلاقهم مبلغاً من الفضل أو من خلال الرشد

إذا مرَّ يافعهم فى الطريق بشيخٍ تنحى له أو سجد

الأول : تباركت النارُ. كانت المديحَ لمصرَ جزافاً ولم تقتصد

زفيروس: أخى ما الذى أنت ناعٍ علىَّ وما قلتُ إلا الذى أعتقد

الأول [مبتسماً] :

لقد سحرتْ مصرُ الفارسىَّ ويا طالما نفثتْ فى العُقَد

ولكن زفيروس كيف الجنودُ
وكيف الحديدُ وكيف الزّردْ
وهل كنتَ تلقاهمُ فى الطريق
وتنظُرُ أظفارَهم واللبَدْ

زفيروس: أخى ما رأيتُ بمصرَ الجنودَ ولم يأخذِ العينَ منهم أحد
سوى فتيةٍ من جنود القصور وضباطِها فى الثياب الجُدُدْ
يروحونَ فى الخُوَذِ اللّامعات
ويغدون فى الذهب المتّقد

الأول : إذن هو مُلكٌ بلا حائط رقيقُ الأواسى ضعيفُ العَمَدَ
خلا الوكرُ من صرخات العُقاب
ونامت عن الغاب عين الأسدْ
أولئك لا فى حماةِ الديارِ ولا فى الحديد ولا فى العُدَدْ
طواويسُ فى عرصات القصور
تروقُ تهاويلُها من شَهد
ولا يعجبنّك سلمٌ يرفُّ وخيرٌ يفيضُ ومالٌ لُبَدْ

وآثارُ فنٍّ تروعُ العقولَ وأجسادُ موتى تعيشُ الأبد
فما أنتَ راءٍ سوى جنةٍ هي الخُلْدُ أو طيفُه فى الخلد
يَهُبُّ عليها غداً عاصفٌ من الفرسِ أنّى تمشّى حصد

ثالث متدخلا: صدقتَ أخا الفُرسِ قلتَ الصواب
غداً يعصفُ الفُرسُ أو بعد غَدْ

أحدهم لآخر: أعلمتُم ماذا يُردَّدُ فى القصـ ـر وماذا يقالُ همساً ووحيا

الثانى : ما يقولون هاتِ قلْ
كيف صدتَ الـ سـ ـرّ فى القصر كيف صدتَ النَّجيا
هاتِ قل ما بأرض مصرَ عجيبٌ
مصرُ دنيا وسائرُ الأرض دُنيا

الأول : هم يقولون إن بنتَ أمازيـ
ـسَ عروسَ المليك تأبى المُضيّا

الثانى : هازلٌ أنتَ ؟

الأول : بل سمعتُ حديثاً إن يكنْ مُفترًى فماذا عليّا

آخر : إنه يَهْـذى دعوهُ كاذبٌ لا تسمعو
ما الذى زخرف

الثالث : ألقى كِذبةَ الأجيال فوهُ
يزعم المُلكَ نفريـ ـت ابنةَ الملكِ أمازسْ
ترفُضُ السيرَ مع الوفـ ـدِ إلى أقطارِ فارس
آخر : ما خطْبُه ما يدَّعى امضِ بنا لا تسمعِ
آخر يقول : فرعونُ مِصرَا لم يرض قمبيز صِهرْا
الثانى : مَنْ أمازس ما الأميرةُ ما مصـ
ـرُ أفى الأرض من بقمبيزَ يهزا
آخر : أهذا خبرٌ يُروى غبىٌّ أنتَ واللّه
أتحتَ القُبةِ الزرقا ءِ من يسخَرُ بالشاه
الأول : اعزبوا مالكم ولى قلّلوا الشتمَ والسَّخَرْ
ما الذى قد أتيتُه ؟ ناقلُ الكفرِ ما كفرْ !
خبرٌ قيلَ قد يصحُّ وقد يكذب الخبَرْ
أحدهم : ياصحبُ كيف تُرى تقضون ليلَكمُ
وكيف نومُكمُ فى هذه الدار

آخر : أمّا أنا فإذا استلقيتُ طوّفَ بى

شتّى الخيالات من سحرٍ وسحّارِ

وأنت ؟

الأول : يغشى الكرى عينى فيصرفُهُ

عنها خيالُ تماسيحٍ وأثوار

من النّوابيت حولى كلُّ منتقلٍ

بغير رجل ولا ساقينْ دوّار

يُجيلُ من خلفها الأمواتُ أعينَهم

كأنها فى الدُّجى أحداقُ أنمارِ

ولا تزال بىَ الأرواحُ طائفةً مناجياتٍ بألغاز وأسرار

آخر : أما أنا فإذا ما جئتُ مُضطجعى

عوّزتُ نفسى قبلَ النوم بالنار

فلا يطوفُ من الأرواح بى شَبَحٌ

من خيِّرينَ وإن جلّوا وأشرار

آخر : هيّا اسمعوا ما رأيتُ أمس

آخر : ما ذاك ؟

الأول : صَهْ تكلموا بهمسِ

رأيتُ عصفوراً برأسِ إنس أقبلَ حتى صار عند رأسى
فما ملكتُ عندَ ذاك حسِّى

آخر : ثمَّ ؟

الأول : صحوتُ فوجدتُ نفسى منطرحاً أغط فوقَ كرسى

آخر : وأنا ؟

ثان : أنتَ ما رأيتَ ؟

الأول : أعَجَبا مما رأى صاحبُكم واغربَا

رأيتُ أبيسَ أتى مضاجعى فهزَّها بقرنِهِ وقلَّبا
ثم رأيتُ

الثانى : ما رأيتُ ؟

الأول : حدقا تَقَلَّبَتْ فى الليل تحكى اللَّهبَا

آخر : ثمَّ ؟

الأول : وقال العجل أنتم فارسٌ؟ قلتُ نعم. فقال لى لا مرحبَا

آخر فى دهشة: يا عجبا العجلُ قد كلّمه يا عجبا

[يدخل تاسو حارس فرعون]

تاسو : أيها الوفدُ سلامٌ لكمُ بنتُ فرعونَ ستأتى بعدَ حين
تتلقّاكم بما يَزكُو بكم من تَحايا وتجيبُ الخاطبين

رئيس الوفد: أيها السَّيد تاسو أدنُ منا مرحبا بكْ
غِبتَ عنا زمناً حتى اغتَمَمْنا لغيابكْ
لم تسَلْ عنا ولم تبعثْ رسولاً من صِحابِكْ

تاسو : يا كبير الوفد هذا العطفُ قد أثَّرَ فِيَّا
أنت لا تجهلُ من أنظمة الدِّيوانِ شَيَّا
شرَفُ الخدمةِ لا يجعلُ وقتى بيدَيَّا

فارسى [لآخر بصوت منخفض] :
تاسو ؟ ! ومن تاسو ؟

الآخر : فتًى فى القصرِ مرمُوقٌ جميلْ
نَدْمان فرعونٍ وصاحبُه وحارسُه النبيلْ
ويَميلُ فرعونٌ إليه وبنتُه أيضاً تَميلْ

[حارسان يدخلان فيصيح أحدهما]

الأول : الملكُ فرعونُ سارعْ

الثاني يردد : الملكُ فرعونُ سارعْ

« يدخل الملك والأميرة نتيتاس وكبار الكهنة »
« المصريين فيجاس الملك والأسرة ويقف تاسو »
« وراء الملك ، فينهض رئيس الوفد ويقول »

رئيس الوفد [إلى فرعون] :

بركاتُ السماءِ فرعونَ مِصْرَا
وسلامٌ من عاهلِ الأرض كسرى

رُسلُ قمبيزَ نحن لم نألُ إحسا
نَكَ يوماً ولا اهتمامَك شكرَا

قد خطبْنَا إليكَ زنبقةَ الوا
دى وأعلَى عقائِلِ النيل قدرا

نحمِلُ الشامَ إن أردتَ صداقاً
ونسوقُ العراقَ إن شئت مَهْرا

ونُزَجِّى الكُنوزَ من قِيَمِ اليا
قوت والدُّرِّ والزُّمرد تترى

إنهـــا فارسٌ وإنا لنرجـو
أن سترضَى بها حليفاً وصِهرا

فرعون أمازيس [إلى تاسو] :

قُمْ أجبْ عنىَ الدهاقينَ تاســـو

تاسو : سيدى من أكونُ ! مولاىَ . عُذْرا

نتيتاس : أبَتِى أعْـفهِ

ثم إلى تاسو: مكانكَ تاسُو أنا بالفصل فى مصيرىَ أحْرَى

نتيتاس [إلى الوفد الروسى] :

مرْحباً وفدَ فارسٍ رُسْلَ قمبـيزَ مرْحبا
قـد تأخـرتُ عنكم وأطلـتُ التحـجُّبَا
ونَهـــانى مُطَبِّبى فسمعـت المطبِّبـــا
خبَّـأونى لوَعْكـة ومن البرد يُخْتَبا
لم يرِ الناسُ صاحبـاً كالعَـوافى مُحبَّبـا

رئيس الوفد: اشكرى اللهَ يا ابنتى واذكرى فضلَ ما حبـا
كم سألنا لجـاءنا بالذى طمأنَ النَّبـــا

أمازيس [إلى تاسو بصوت منخفض] :

ما لها تاسُ أطنَبتْ ولذا الشيخ أطنبَا
تركا خِطبةَ الزوا ج وقامَا ليخْطُبَا

نتيتاس [بصوت منخفض وقد سمعت ما دار بينهما] :

ما الذى ساء والدى من كلامى وأغْضَبا
ما لِفرعونَ ساخطا ولِتاسُو مُقطِّبَا

فرعون [بصوت منخفض] :

اجْعَلى القصد يا ابنتى لكِ فى القول مَذْهبا

نتيتاس للوفد: قد دعوتم أبى لما يرفعُ البنتَ والأبا
إن فرعونَ كوكبٌ صاهرَ اليومَ كوكبا
اذكُروا لى مُقامَكم أتُرى كان طَيِّبا
أيها الوفْدُ قلَّما صَاهرتْ مِصرُ أجنبا
مرحباً وفدَ فارس

الملك [بصوت منخفض] : شَبِعَ الوفدُ مرحبا

نتيتاس : أنا إن عشتُ شِدتُ للنار بيتاً مطنَّبا
فى عيونِ الوهادِ منْ فارس أو على الرُّبا

كلما لاحَ ضوءُه هزّتِ الأرضُ مَنكِباَ

رئيس الوفد: هَلِّلِى باركى يا نارْ على بنتِ الفراعين

ويا فارسُ هاتوا الغارْ وجيئوا بالرياحين

وحيُّوا زوجةَ الجبارْ على كل السلاطين

[وينثر الفرس الرياحين على الأميرة نتيتاس وهم يتغنون]

الكهنة المصريون يتغنون :

آمونُ قم شاركْ فرعونَ فى العُرسِ

تعالَ طفْ باركْ فى ملكةِ الفُرس

* * *

نَحِّ الشياطينَ وانفِ العفاريتَ

واحرسْ بعينَيك موكبَ نفريتَ

* * *

آمونُ هىّ اشترِك فى عُرْسِ بنتِ الملك

وقُم إليها كَلِّل براحَتْيك راسَها

واشهد بمصرَ واحتفل بفارس أعراسَها

« ستار »

المنظر الثـــالث

« بهو عظيم من القصر زين بالمصابيح البديعة الألوان المصنوعة من »
« ورق البردى وأغصان الزيتون ، وصفت الأزهار والرياحين »
« هنا وهناك . وفى ناحية من البهو جوقة العزف من حاملات القيثارة »
« والعود ، والناى ، والدف . يموج المكان بأعضاء الوفد الفارسى »
« فى ملابسهم الفارســية الفاخرة وبرجال الحـاشية وخدم القصر »
« من الحرس والـكهنة كبارهم وصغارهم وفتيـان النوبيين ، وقد »
« وقف قهرمان القصر يصرف الوصفاء والخدم ويسخرهم فى شؤون »
« الوليمة وقد مدت الموائد الضخمة وجعلت عليهـا ألوان الطعـام »
« المختلفة من خراف مشوية وباردة وبط صيد، ومن سمك النيل »
« ومن الحلوى بأنواعها ، وسلال الفاكهة . ووضعت هنا وهنـــاك »
« أباريق الذهب والفضة المملوءة من عتيق الخمر . يجلس على المائدة »
« فرعون أمازيس وبجانبيه وأمامه كبـار رجال الوفد الفارسي »
« وعظماء رجال الـكهنوت والدولة . وينتشر الآخرون على جنبات »
« المـائدة يتحادثون جماعات جمـاعات . »

فارسى لصاحبه :

فيروزُ أنظر ترى الخرافا ... حُمراً لطافاً على الخوان
ذا سمكُ النيل فى الأوانى ... كأنه مِعصَمُ الغــوانى
وأعينٌ تلك فى جُفون ... أم ذلك البطُّ فى الجفانِ

فيروز : ذكرتَ كلاَّ ولم تُرحِّبْ بخمرِ ساموسَ فى الدِّنانِ
وخمرِ فينيقيا المصفَّى كأنه ريقةُ الحسانِ

فيروز : وخمر مصر فى قصر فرعونَ

ثالث : تلك مجهولةُ المكانِ

الأول : فيروزُ ، دَعْنى خَلِّنى الخمرُ ليستْ دَيْدَنى
من خمرِ آتينا وساموس ومصرَ اعْفنى
الأكل يافيروزُ شغلى وبه تَفَنُّنى
تشربُ والبطنُ خلىٍ ؟ يا لكَ من مُغَفَّلٍ ؟
كُل شىْءٍ يا فيروزُ كُلْ

هذا الخوان قد كَمَلْ من كل جانب حَمَلْ
هذا شُوِى هذا قُلِى

والبط فى الأطباقِ بطْبَط فى الرقاقِ
من رأسِه للأرجل

ثالث : وهذه الإوَزَّ رجْرَاجَةٌ تَهْتَزُّ
قد طُيِّبَت بالتَابلِ .

فيروز [للأول] :

أخى كلانا قد صدَقْ فما لنا لا نتَّفقْ

آكلُ ما تأكُل من طعام ونحْتَسى معاً من المُدام

الثالث : هذا لَعمرى مُحكمُ الكلام

فرعون [إلى رئيس الوفد] :

سيدى لو تقولُ لى كيف قمبيزُ والقدَحْ

الرئيس : إن قمبيزَ سيدى ملكٌ كله مرَحْ

ليس تخلو قصورُه من سرور ومن فرَحْ

فارس آخر: لكن له شُغلٌ عن الخمرِ بطُولِ غزوتهْ

فرعون : أينَ ترُى يشرَبُها

الفارس : يشربها فى خوذته

كعبده ابن أمته

« ويخلع الفارسي خوذته ويصب فيها خمراً ويشرب »

« بعض صغار رجال الوفد الفارسي يتحادثون فيما بينهم »

أحدهم :

ليتَ شعرى فلستُ أدرى إلى أى بلاء قمبيزُ يدفَعُ فارسْ

قد فتحنا الفضاء شرقاً وغرباً وملكناه من عُباب ويابسْ
اتسعنا من الفتوح

آخر : يقيناً غيرَ أنَّا لم نفتكر بالحارسْ

خَلِّ « مانى » عنك السياسة دعْهَـــا

خَلِّ عنك الفضولَ خَلِّ الوساوسْ

إن شرق البلاد ضيعةُ قمبيـ ـزَ وغربَ البلاد حقْلُ أمازس

سائسُ العالمين أسعدُ منه رجُلٌ للحمار والبغل سائس

ثالث : أنظر الحفلَ « بهـــارٌ » استخَفَتْـــه الكؤوسْ

رابع : وفدُ قمبيـــزَ وهـــذا مـــلكُ مصرِ أمازيسْ

ذهبُ الأرضِ عليهـــم غَـــرِقَتْ فيه الطقوس،

ساسَةُ الدنيـــا وكُلٌّ غيرهم فيهـــا مَسُوس

الثانى : خَلِّنا بالله من سا سِ ودَعْنَـــا من يسوس

لِمْ نَظلُّ الدهـــرَ مَرءو سينَ والغـــيرُ الرئيس

لِمَ « مانى » لا. أنا رَذْ لٌ ولا أنتَ خسيس

الأول: كلُّ ما أعجـــبَ كسرَى فهو فى الفُـــرسِ نفيسْ

كلَّ حينٍ حاكمٌ يمـ ـشى علينـا ويدوسْ
هكذا يختلف الحظُّ سعودٌ ونُحوس
إنَّ بعضَ الناس أذنا بٌ لبعض همْ رؤوس
منزلُ الأُسدِ الصحارَى وعلى المرْعَى التيوس

الأول : لِمَ يا « مانى » يسودو ن ونبقى لا نسُودْ
ونُقادُ الدهْرَ والآخـ ـرُ يا « مانى » يقود

آخر : يا أخى نحنُ كلانا عاجزُ الرأى بليد
هذه الدنيا لِمَن يُقدمُ فيها أو يُريد
سنةُ الكونِ وما عن سنةِ الكونِ مَحيد

آخر : أنا يا « مانى » طموحٌ أنا لا أكتُمُ عنكا
أنا فى الدنيا وفى زينتها أرغبُ منكا
أنا أهوَى سَعةَ العيـ ـش ولا أرضاهُ ضنْكا

الأول : إرْضَ بما كان وما يكونُ أو فانفَلق
وهيّ نشربْ قَدَحَيْـ ـنِ أو فَهَيّ انطلق

أحدهم : القدَحَا ، القدحَا الخمــرُ تنفى التَّرَحا

قصراً أرى أم فَلَكَا وشجراً أم قُزَحاً *

وغادةً تسقى أمِ الظَّبْيَةَ أم شمس الضحى

وخوذاً على رؤوس فارسٍ أم الرَّحى

القَدَحَا القدحا هاتوا الشعاعَ المُفرحا

هاتِ السَّنا هاتِ القَبَسْ هاتِ الشّذا هاتِ النَّفَس

هاتِ سراجَ المهرجان هات شمعةَ العُرُسْ

هاتِ ابنةَ الشعاعِ والظلِّ ابنةَ العذْبِ السَّلِسْ

أحدهم [لرئيس الوفد] :

مولاى ألقِ السمعَ وابعثِ النَّظَرْ

ماذا ترى ؟

الرئيس : أرى « بهاراً » قد سَكِرْ

الأول : فتاكَ غنَّى و فتاىَ قد شَعَرْ

الرئيس : وما الذى ضَرّ ؟

الأول : صدقْتَ لا ضررْ

(*) قالوا : إن قزح لا يفصل من قوس ، ولكن الناظم لم ير بأساً فى فصله لسهولته وكفاية دلالته .



نتيتاس [إلى نفريت أمام فرعون أمازيس] :

ومالى لا أعطى الحياة إذا دعت   بلادى : حياتى للبلاد ومالى

الرئيس : ونحنُ ما نصنَعُ ؟

الأول : شُربٌ وسَمَرْ

الرئيس : ونحنُ أيضاً بَشَرٌ وهُمْ بشَرْ

فليشربوا من هنا هنا إلى السَّحَرْ

أحدالشبان: رئيسَ لوفدٍ لا زلتَ لما يَرفَعُ تُختارُ

ولا ساواك دهقَانٌ ولا داناك أسوارُ

وغَالَى بكَ قمبيزٌ وحلَّت جسْمَك النارُ

« يدخل وصيف من وصفاء القصر وبيده مومياء من الذهب »
« يعرضها على الضيفان ، ووراءه رجل يقول ويكرر ... ... »

المُومِيَا طُوفوا بها وانعظوا بخَطْبِهَا

لا تسألوا ما هى منْ ؟ نذكرها طولُ الزمَنْ

هَيَّا كلوا هيا اشربوا هيا اسمعوا هيَّا اطربوا

تمتعوا بالفانيهْ قبلَ الحياة الثانيهْ

خُذوا المُدامَ الصافيَهْ فبلَ انكسار الآنيهْ

فارسى لآخر: خورشيدُ هذا هو البلاءُ كلُّ أحاديثِهم فناء

خورشيد: روايةالموت حيث راحوا وقصة الموت حيث جاءوا

[يقترب تاسو من نتيتاس في ناحية أخرى من البهو ويقول]

تاسو : نتيتاسُ ألاَ كاسُ ألاَ شكوى ألا عتْبُ
أيُنْسَى في سُويعاتٍ ويُطْوى ذلك الحُبُّ

نتيتاس : دع الحبَّ فلم يُخلق له من لا له قلبُ

تاسو : وما ذنبي ؟

نتيتاس : لقد أحسنـ ـتَ لكن لي أنا الذنبُ
أنا أحببْتُ عابثا سادرَ القلب جافيا
يَعشَقُ الجاه والغنَى لا يحبُّ الغَوانيا

(مستمرة) : أنتَ كالنِّعْمة من قصر لقصر
أنت كالنَّحلة من زَهْر لزَهر

(مستمرة): أعَدَت الأخلاقُ ما بيننا أينَ أخُو العهد من الناكث
لعبتَ بي فيما مضَى عابثَا
فالعبْ بغيرى اليومَ كالعابث
أقسمْتَ لي فاذهب. فأقسم لها
فأنْتَ أهْلُ القسم الحانث

أحببْتَ بنتَ الحيِّ حتى قضى والیوْمَ أحببتَ ابنةَ الوارث
كم مجلس كان لنا ثالثٌ فيه وقد تَعْمَى عن الثالث

تاسو : ما هو مَنْ ؟

نتيتاس : الحبُّ يا مُدَّعى والحبُّ حربُ الظالم العائث

[يعرض عنها تاسو ويبتعد]

نتيتاس [لنفسها] :

مضى الغادرُ لم يَشْعرْ بما حَمَّلنى الغدرُ
ولا رَقَّ له نابٌ على جُرحى ولا ظُفرُ
تكلمتُ فلم يسمع وأنَّى يسمعُ الصخرُ
لقد غامرتُ فى تاسو وتاسو فى الهوى غمرُ
كم استشفيت بالسِّحْر فما عافانىَ السحرُ
وكم ناديتُ آبائى فما لَبَّانى النَّصْرُ
وكم جئْتُ إلى الصَّبْر فما أوانىَ الصبرُ
جزاءُ المُعْرض التَّيَّا ه منك الصدُّ والكبرُ
هَبيه نَأت الدار به أو نزَحَ القبرُ

هَي معرفة الغادر لم يأت بها الدهرُ
أقلِّ شُغُلَ الفكر فقد أتعبَك الفكرُ
هَبيه مَرَّت السِّنُّ عليه ومشى العمرُ
فلم يَبْقَ له نَهْيٌ على الغيد ولا أمرُ
ولم يبق له فى البال تمثالٌ ولا ذكرُ

« مدعو من المصريين يشير إلى نفريت وهى متنكرة »
« فى زى يونانى ، ويقول لرجل بجانبه ... ... »

المدعو : مَن المرأة ؟

آخر : مَنْ ؟

الأول : تلكَ تَراها مثل طاوُس
تراها مع كالياس

الثانى : وَمَنْ ؟

الأول : وارثُ فانيس
أمير الجيش فى مَنْفٍ وأسوانَ وسايِيس

الثانى : أجلْ تلكَ التى تظهرُ فى أغرب ملبوس

فهذا الوجهُ مصريٌّ وهـــذا الزِّى سامُوسى

[رجل فارسى لآخر يدعى قباذ]

الرجل : انظر قبـــاذُ ما تَرى ؟

قبـاذ : أحسنَ شيء منظـــراَ

حمامةٌ تُطارحُ الـــشـــجوى حماماً ذَكرا

يا ليت أذنى سمعتْ من الحديث ما جرَى

الأول : دعنى من ذكر الهوَى إنَّنى مُذْ كنتُ لم أعشَقْ ولم أُعْشق

قباذ (فى تهكم) :

وأنت كالناس امرؤٌ عائشٌ تلك لعمرى عيشةُ الأحمق

الأول : قبـــاذ قـــد عرفْتُه ذلك تاسو الحارسُ

قباذ : الحمـــد لله عـــلى أن لم تحزهُ فارسُ

إذن لهامَتْ كاعبٌ بحبِّـــه وعانِـــسُ

[تاسو يقترب من نفريت]

نفريت : تاسو هنا ؟ هات اسقنا

تاسو : لبَّيْك يا ذاتَ البهاءْ لبيْك يا بنْتَ السماءْ

يا ليتنى كنتُ الرّحيـ ـق وليتنى كنتُ الإناء

[ويناولها قدحاً]

نفريت : تاسُ ، مِنْ أينَ ومَنْ كنْتَ من الغيد تُحَدِّثْ ؟

تاسو : كنتُ أجامِلُ الضيو فَ وأُلَبِّى المـلكا

فعــارضتنى نتيتا سُ فى خلال ذلكا

نفريت : وما الذى قلْتَ لهـا تاسُ وما قالت لكا

تاسو : عادَت لذكر حبِّنا القديم وعطَفَتْ على الهوى الذّميم

وطـال العتـابُ

نفريت : وطـال السِّبابُ

تاسو : بحـق الحبِّ نفريتُ أقِلِّى الشغلَ بالأُخرى

ولا نلْقَى لنا نيتـا س لا بالاً ولا فكرا

غداً تخلُو لنـا مِصرُ غـداً يصْفُو لنـا القصرُ

غداً ترحلُ لا أرْجِـ ـعها البَرُّ ولا البحـرُ

نفريت : مالكَ تـاسُ ولهـا خلِّ الفتـاةَ خلّهـا

للــه ما أعظَمَها عِندى وما أجلَّهـا

قد أظهرت أمس أمـ ـامى فضلها ونبلها

تاسو : ما فعلت ؟

نفريت : ما أنت من ؟ يقدر تاس فعلها

ألم تصبر عن الوطن المفدى وتسمح بالديار وبالشباب

وترض بأن تزف غداً مكانى إلى النمر الأمير على الذئاب

تاسو : صه نفريت صه لا يسمعون فتلقى مصر أنواع العذاب

« فى ضجة الوليمة يقف صاحبان هما : منا ، وأحامس ، ويتحادثان »
« صديقهما خوفو يقبل عليهما ثم القائد كالياس ... ... »

منا : انظر أحامس

أحامس : ماذا ؟

منا : فرعون بين صحابه

أحامس : وما ترى من عجيب ؟ ماذا بفرعون ما به

منا : أنظر تجده إلهاً فى عبقرى ثيابه

أحامس : لا تلق بالا إليه ولا إلى أذنابه

غداً يصب عليهم قمبيز سوط عذابه

منا : أحامس ، استغفر لما قلته فال الشياطين ولا فالك

أحامس: قد كنتَ مثلي يا منا ساخطا تلعَنُ فرعون فما بالُكْ

[ثم مستمراً] :

تأمَّلْ القصرَ منا وانظره أرضاً وسما
أنظر ترى الإغريقَ فيه هُمْ لفيفُ العُظَما
أنظر تجدهم كلُّهم يملقونَ العجما

منا : ماذا على فرعونَ أنْ رعاهمُ وقدما
أليس للضيفِ على ضائفه أن يُكرَما

أحامس : وصاحبُ الدار إذنْ لا يتعدَّى السُّلَما

خوفو : ماذا أثار الصاحبيْن لِمْ وفيما اختصما

أحامس : كنْ مُنْصفاً إن رُمتَ يا خوفو تكونُ الحَكَما
تأملْ القصرَ خوفو أفيهِ من مصرَ شيٌّ
أليسَ فرعونُ فيه كأنه أجنبيٌّ
فأين حفارُ مصرٍ وفنُّه العبقريٌّ
والجيشُ خوفو !

خوفو : خذ الحذر يا منا يا أحامسْ

كالياسُ آتٍ إلينا

منا : وَمَنْ ؟

خوفو : خليفة فانسْ

أحامس : اليومَ كالياسُ وأمس فانسُ

احتكرَ القيادةَ الأبالسُ

[ويقبل عليهم كالياس]

فرعون أمازيس [لتاسو] :

أين أقزامى ؟ إمض جئْ بأقزامِى تاسُ

[يدخل الأمراء فى أزياء المهرجين ، فيقولون] :

تحياتٌ لفرعونَ سلامُ الشمسِ للملْكِ

سلامٌ قائدَ الخيْل سلامٌ حامِى الفُلْكِ

قهرمان القصر [للأقزام] :

هلِّلُوا رقصَةَ الحورِ إذا طُفْن بِهاتور

سماءِ العزِّ والنُّورِ

أحد الأقزام: نحنُ القُزُم أنصافُ ناسْ

ناسٌ وبالشِّبْرِ نُقاسْ

ثانى : نحنُ الدمَى واللُّعَبْ بنا يتمُّ الطربْ

ثالث : هلُمُّوا رقصةَ الموتَى من الكهف إلى الكهفْ

ودُورُوا كالتماثيل من الرَّفِّ إلى الرفِّ

آخر : ثِبى جُثث على الجدَث ثِبى ثِبى

حَبْوَ الصّغار على اليدِ والرُّكبِ

هيَّا قِفى هيَّا ازحَفى هيا العب

هنا الطعَامُ هيَّا كُلى هنا الشرَابُ هيا اشربى

آخر : تعالَ يا دهقانْ ارقُصْ معى

وأنتَ يا «أسوار» قُمْ اطلع

واقتَبسَا الأنوارَ من سارع

الجميع : عِش يا ملك مع الزمَنْ

مُطَوِّقاً مِصر المِنَنْ

وذائداً عن الوطَنْ

[ثم يكررون عش يا ملك . . وينصرفون]

فرعون أمازيس [إلى وجهاء الفرس] :

يا وُجهاءَ الفرس قالوا لكم مصرُ بلادُ السحر والساحر

فرُبَّما سَرَّكُمُ أننى أجيئُكُم بالساحر القادر

(وينادى): حوتيب

حوتيب : لبَّيْكَ سارعْ

فرعون : تعالَ لَــهُ الضيــوفا

حوتيب : سادتى إنِّىَ فى الكــفِّ وفى الجبهــةِ أقرا

أنا أقرَا لكَ حظًّا أنا أقرا لك عمــراَ

أنا الذى بسحرىَ المبينِ أستطلعُ المكتوبَ فى الجبين

فرعون (إلى تاسو) :

تاسو اقتربْ

تاسو : ء لبيكَ يا سارعْ

فرعون : لِمْ أجلبُوا ما خطْبُهم ما الداعى

(ضجة وهمس)

فرعون (مستمراً) :

وفيمَ هذا الهمْسُ والتَّداعى

تاسو : مولاىَ إن الوفْدَ فى ارتياعِ

تاسو (فى أذن الملك) :

انقلبَتْ عصيّهم أفاعِي

فرعون : يا لَحوْتيب من فتىً صناعِ

رئيس الوفد:

لِلّه دَرُّ الساحـرِ هـذا من العباقِر

حوتيب : أناةَ وفْدَفارسَ لا تُراعُوا ولا تُحْصُوا دُعايا تى عَليّا

خذُوا اقضبانكم وتأمَّلوها لقد عادتْ كما كانَتْ عِصيا

فرعون : حوتيبُ قد سرَّ ضيو فى أن يروْا ويسمعوا

فزدهُم فعنـدك الـسحْرُ الغريبُ الممتعُ

حوتيب : فرعون هـذا شرفٌ يطـيرُ بى ويرفـعُ

أصنعُ ما كان ددَاَ الـساحِرُ قبلى يصنعُ

فرعون : وما الذى تصنَـعُ ؟

حوتيب : جيـئونى برأسٍ يقطعُ

فإنـنى أردُّه لجسمِه وأرجعُ

فمنْ من الوفد برأ سِـه إلىَّ يدْفعُ

رئيس الوفد لرجاله :

هل منكم يا معشرَ الفرسِ بطَلْ
عن رأسه لساحرِ النيل نَزَلْ

حوتيب : هاتوا الرءوس لا يخافَنَّ أحدْ
فكلُّ رأسٍ سيُرَدُّ للجسدْ

أحدهم : رأسَى غيْرُ هيِّنِ

ثان : رأسى عمودُ بدنى

ثالث : رأسى لدَىَّ غالى رأسَى كُلُّ مالى

فرعون : حوتيبُ ما من أحدٍ هان عليه رأسُهُ
أنظر إليهم . كلهم عَزَّتْ عليه نفسُه
خلِّ حوتيبُ النّاسَ واختَرْ غيرَهم للتجربه

حوتيب : مُرْهُمُ إذن أن يُحضروا إوَزَّةً أو أرنبه

فرعون (لتاسو) :

امض تاسو جىء حتَّىْ سباً ياوزٍّ وأرانب

«يخرج تاسو ثم يعود ببضع من الأوز والأرانب . فيقطع حوتيب رأس إوزة»
« ويقول : شالهبدشالهبد لا يعجز السحر أحد يا رأس عد إلى الجسد »

الفرس : تعالتْ قدرةُ النارِ

المصريون : تعالَ الربُّ آمونُ

فرعون : هيّ حوتيبُ إمْش بينَ الصُّفوفْ

وطالع الجبْهاتِ واقرأ الكفُوفْ

حوتيب : برأسِ منْ أَبدأُ مُرْنى يا سارعْ

فرعون [مبتسماً وملتفتاً لتاسو] :

برأس تاسُو اقرَا ما فى جبينه

وبيِّن المحجوبَ من شؤُونه

حوتيب [وهو يتأمل جبين تاسو] :

هذا فتىً باطنُه جمادُ

ليس وراءَ رأسه فؤادُ

رأسٌ عليه وقف الجلادُ

تاسو : إخسأْ كذبتَ وضلَّ سحرُكْ

فرعون : ورأسي ياحُتيب ألا تراهُ ؟

حوتيب : جَبينُكَ أعفنى مولاىَ عنه

فرعون : تعالَ حُتيب

حوتيب : لا . هذا شديدٌ جبينُ الشمسِ تنبو العينُ عنه
يا عجبا ماذا أرى ؟

فرعون : ماذا ترَى

حوتيب : دَمٌ جرَى

فرعون : دَمِى أنا ؟

حوتيب : لا سيدى عُوفيتَ . بل دَمُ الورَى

تاسو : إذن ليجرى كالمطر ما هَمَّنــا دَمُ البَشَر
إذا سلِمْتَ يامَلِكْ فليَهْلكَنْ مَن هَلَكْ

كاهن لآخر [بصوت منخفض] :

إنَّ هذا الغلامَ فيه قساوهْ

الآخر : قلتَ حقاً وفيه أيضاً غباوَه

فرعون : وبعدُ ماذا ؟

حوتيب : حربٌ عوانٌ يَشيبُ من هَوْلِها الزمانُ

فرعون : وهل أكونُ يا حوتيبُ فيها

حوتيب : سواكَ يا مولاىَ يَصْطَليها

فرعون : وابنى بساما يا حوتيبُ ما ترى ؟

هل يشهدُ الحربَ وهل يراها

حوتيب : سيدى ليتَ الأميرَ حاضرٌ أنا لا أقرأ إلا فى الجبين

[قهرمانة القصر تطيف بالعازفات والحسان وتقول] :

القهرمانة : قُمْنَ إلى اللهو يا عذارَى وخُذْنَ صَنْجاً وخُذْنَ دفّاً

واهتِفْنَ بالشِّعر والأغانى واقطعنَ ليلَ الشبابِ قصفاً

* * *

وانْشدْنَ مع القومِ نشيدَ الملكِ العالى

[ينشد الجميع نشيد فرعون مع الرقص وآلات الطرب] :

النشيد : فرعونُ أنتَ الرفيعُ أنتَ العظيمُ الشأن

وأنتَ سدٌّ منيعٌ من جارف الفيضان

* * *

وأنتَ كالصّخر تحمى من نكبات العواصفْ

من قاطع الطرق يأوى إلى حِماكَ الخائفْ

* * *

وأنتَ من صخرِ طيبه حِصنٌ مشيدُ الجِدارِ
يُؤوَى إليكَ ويُلجَا إلى طلوعِ النهار

* * *

أنت اخضرارُ الرِّيف وأنتَ حُسنُ الرَّفيف
تَرُدُّ بطشَ القويِّ وفتكَهُ بالضعيف

« فرعون يغادر مكان الوليمة فينطلق »
« المدعوون على إثره ولا يبقى إلا نتيتاس »

نتيتاس [لنفسها] :

أفيقى بنتَ فرعونٍ فما يَزْكُو بك السكرُ
غداً تَذْرو رياحُ الفرس من موتاك ما تذرو
غداً يُصبَغُ من شَطٍّ لشطٍّ بالدّمِ النّهرُ
غداً يُهتَكُ عن أربابكِ المحرابُ والسترُ
فما تاسو وفتيانٌ كتاسو فى الحِمى كثرُ
هم النّخلُ وإن هابوا لقائى وأنا الزهرُ
يموجون بساحاتى ويَزهو بهمُ القصرُ
ولكن بينَ جنبيَّ هوىً أولَى به مِصرُ

« ستار »

الفصل الثانى

فى مدينة سوس الفارسية

«فى حجرة فارسية فخمة مفروشة بثمين الطنافس ومملوءة بالوسائد»
«من الحرير المختلف الألوان ، وقد زينت زواياها بالرياحين»
«الكريمة ، الملكة ووصيفتها تتى فى الحجرة المذكورة»

الوصيفة تتى [وهى تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها] :

تباركَ الذى خلقْ أقولُهَـــا ولا ملقْ
ذائبٌ أم الدُّجَى وَمفرقٌ أم الفَلَقْ ؟
غدائرٌ فى الكتفيـ ـن أُسْدلتْ وفى العنقْ
كأنها من الحريـ ـر الأسود الخيط شُقَقْ
لم يَخلُ جوُّ فارسٍ مُذْ ضَمَّهَا من العبقْ

الملكة : ما تصنعين يا تِتى ؟

تتـــا : أُصلحُ مولاتى

الملكة : لمن ؟



الوصيفة تى [وهى تصلح رأس الملكه وتمشط شعرها]:

تبارك الذى خلق   أقولها ولا ملق

تـــى : للزوج يا سـيدتى

الملكة : لنمر الفُرس الخشن

تـــى : هبيه ذئباً مَلْكتى أو نمراً أو كركدن
أليسَ للأزواج تلبسُ النساءُ ما حَسُنْ

الملكة : (ملتفتة الى وصيفتها تى) :

قلت حقاً تى فإن على المرأة للزوج أن تكون أمينه
وعليها ألا تُقصِّر بشراً حيث تلقاهُ أو تقصّر زينه

تى الوصيفة : بل تحلَّىْ مليكتى والبسى حُلَّة البهاءْ
وافتنى مَنْ بفارسٍ من رجالٍ ومن نساءْ
إن كسرَى وقومَه كلّهم فى الهوى سواءْ
أنت كالشمس فى الضحى فانشرى الحُسْنَ والضياءْ
لا على القصر وحدَه بل على الأرض والسماءْ

الملكة : يا لك من وصيفة مُمَلِّقَهْ
عارفةٍ بالجمل المنمّقهْ

الوصيفة : لقد وصفتُ ذهباً فى البوتقه
ولم أصف بالطيب الإزنبقه
وقلتُ عن شمس النهار

الملكة : مُشرقه

(ويظهر على الملكة التفكير واشتغال البال فجأة)
(ثم تتغنى فى نفسها وهى مقبلة على المرآة تنظر فيها)

الملكة (فى نفسها) :

يا ظالماً أحبُّه جهد الهوى وإن غدرْ
ومن هجرتُ وطنى لأجله حينَ هجرْ
قلبُك لحمٌ ودمٌ مثلُ القلوب أم حجرْ
لم يتنصَّلْ مرةً مما جنى ولا اعتذرْ
جسمٌ كسلسال الصفا على فؤادٍ كالصَّخرْ
وزهرٌ أنتَ وتلـ ـك النفسُ أفعى فى الزَّهرْ
لم تجن يا تاسُ علىْ إنما جَنَى القَدرْ
ذنبك لا يُغفرُ إلا أنَّ قلبى قد غفرْ
إن غِبتَ عن عينى فأنـ ـتَ فى سوانح الفكرْ

أراك كلما رأيـ ـتُ طائرين فى الشجرْ
وكلما بدَتْ لَى الـ ـشـ ـمسُ ولاح لى القمرْ
وكلما جئتُ الريا ضَ ووقفتُ بالغُدُرْ
وكلما ترنَّمَ الـ ـشَّـ ـادى وحرَّكَ الوتَرْ
وكلما دبَّتْ ورا ءَ الليل نسمةُ السَّحَرْ
يا ليتَ شعرى كيفَ أنـ ـت ما تجىءُ ما تذَرْ
وكيف حبُّك الجديـ ـدُ هل خَبَا وهل كَبَر
وهل وَفَيتَ أم غدر تَ بالعشيقات الأُخَرْ

الوصيفة : دَعى الناسىَ مولاتى وخلِّيك من السَّالى
ولا يخْطُر لك النَّاكـ ـثُ للعهد على بال

نتيتاس : هبيه يا تتَا خانَ فمالى لا أفى مالى
له خُلْقٌ ولى خُلْقٌ ولـكنْ خُلْقَىَ العالى

تتـــا : هوَ يا ملْكتى مِثا لٌ ولـكنْ منَ الوَحَلْ
كان يكفى لبُغضه بعضُ ذاك الذى فعَلْ

نتيتاس : أنا أفديه يا تِتَا بحياتى وإن قتَلْ

تتا : لو كان معشوقى أنا

نتيتاس : ما الذى كان يُلاقى ؟

تتـا : آه لا أدرى

بالصَّفعِ أجزيه وبالرَّكْلِ أو

كنتُ أُريه النَّجمَ فى الظُّهر

نتيتاس : الحبُّ فى ناحيــةٍ وأنت ذى فى ناحيهْ

ما هكذا الحبُّ يا تتاً ما الحبُّ إلا التضحيه

[تسمع ضجة وصياح وحركة جنود وراء القصر وصوت استغاثة]

يقول المستغيث :

العفــوَ يا كسرَى الصفحَ يا سلطانْ

أخــوكَ والنــار ومجدها ما خانْ

الملكة : إسمعى يا تتَا ألم يأتك الصوتُ ؟

تتا [وتطل من نافذة] : أجَلْ ثَمَّ ضَجَّةٌ وعَويلُ

ثَمَّ خيلٌ وشُرطةٌ وسلاحٌ

الملكة : ليتَ شعرى مَن البرىء القتيلُ

تتـا : أقتيلٌ يا بنتَ فرعونَ؟

الملكة : لمْ لا ليس فى أرض فارسٍ مستحيلُ

* * *

يا تنَا نحنُ فى بلدْ كلٌّ قلب به جمَدْ

* * *

الحىُّ فيه رخيصٌ والميتُ أرخَصُ منه

* * *

هنا الميتُ تنفضُ منه الأكف وتنهَى الشرائعُ عن دفنهِ

ويطْرحُ ناحيةً فى الفضاءِ على سَهْله أو على حَزنه

تروحُ الحداءُ على رأسه وتغدُو الذئابُ على بطنه

تنا : ويحْهمُ ويحْهمُ أمَا من الناس همُ ؟

ذلّتْ وهانَتْ أُمة ميتهُمْ لا يُكرَمُ

الملكة (وهى مطلة)

تنَا هــذا هو الحارسْ وهذا مَنْ تُحبّينا

* * *

كذوقك يا تنَا لم يَعلُ ذوقٌ أتمثالٌ حبيبك أم إلاهُ

تنا : ولو فوق الإله يُحَبُّ شىءٌ رُيكرَمُ لم يكُنْ أحداً سواهُ

* * *

تأملى كتفيه تأمّلى منْكبيْه كأَنّ صقْرَينِ حطّا فظلّلا شاربيه

الملكة : انتظرى لا بدّ لى أن أسأله

تتا : لا تفعلى مالكِ مولاتى وله

الملكة : يا أيها الحارسُ

الحارس : لبيك

الملكة : مَنْ يقتلون اليومَ فى الساحهْ ؟

الحارس : أختُ الملك أتوسيا

الملكة : أختُ الملكْ ؟

الحارس : أجل هيا

اتهمت ببُرديا

تتا : من برديا ؟

الملكة : أخو الملك! أيقطع فى الساحة رأس برديا

يا أسفا عاوده جنونُه

تتا الوصيفة (وقد أطرقت الملكة لحظة مفكرة مغتمة) :

ما بك مولاتىَ ما غمك ما هــذا الأسى ؟

الملكة : لا شىءَ بى لقدْ وهمت يا تِتَــا لا شىءَ لا

الوصيفة : بل أنت تكتمينَ غمــاً طافَ أو همــاً سرى

هل ذكرتِ أننا غريبتان ها هنـــا

أنت لىَ الأهل ولـ كنى أنا لك الحمى

وماعلى الغريب إن جاءَ الغريبَ فاشتكى

الملكة : صدقت يا تتا أنا وأنت فى الكرب سَوَا

قد اجتمعنا بعد قُر ب الدار فى دار النَّوى

تتـــا : أينَ إذنْ تبسُّمٌ كالصبح من فيك يُرى

الملكة : لقدرأيتُ الهَوْلَ والا زَّوْلَ وما هَدَّ القُوَى

تتـــا : أضغاثُ أحلام وزو رٌ من تهاويل الكرى

الملكة : رأيتُ رؤيا ياتتا هل لك علمٌ بالرؤى ؟

الوصيفة (بعد تفكير) :

أجل تذكَّرتُ أجلْ عندىَ من ذاكَ شدا

قد كنتُ فى الصِّبا على أبى أقُصُّ ما أرى

الملكة : رأيتُنى كأننى فى قصر آبائى بَصا

الوصيفة : فى القصر من صالحجر قصر الجلال والبها

الملكة : رميتُ عينىَّ فى الا قصر إلى أقصى مَدى

رأيتُ وادياً كطو ل البيد أو عرض الفلا

أصفرُ من شعابه بنفسجيّ المُنْحَنى
إحمرَّ مثلَ قَزَحْ هناكَ واخضرَّ هنا
رأيتُ ليثاً أحمرَ الـ جلدةِ خشناً كالصفا
فاغرَ فيه عن نيو بٍ مثل مشروع القَنا
انقضَّ كالصخر على الـ وادى فأقْعَى قَرَنا
ونظرَ النيلَ وقد عبَّ وماجَ وطغى
وخرجت منه التما سيحُ فُرادى وثُنَى
وأعْوَلت حتى لقد سَدَّ عويلُهاَ الفضا
فعقَرَ الليثُ فلا رِجْلًا رمى ولا يَدا
وقرَّ فى مكانه كأنه بعضُ الدُّمَى

الوصيفة : ثمَّ ؟

الملكة : رأيتُ حنشاً ليسَ له مصرُ ترى
لم ترَ منفُ مثلَهُ ولا الصعيدُ قد رأى
كأنه صاعقةٌ تحدرتْ من السما
مشى إليه كلُّ ذى قوسٍ وكلُّ ذى عصا

وخرج الكهّانُ يتـ ـلونَ الصلاة والرُّقَى

الوصيفة : وما الذى حلَّ به ؟

الملكة : لم يُصبْ الوحشَ أذى

الوصيفة : حقّقتَه سيدتى ؟

الملكة : حقّقتُه على الضُّحى

الوصيفة : فكيف كان ؟

الملكة : صورة تشيبُ أرؤسَ النَّشا

كأنه فانيسُ عيـ ـنَيْن ووجهاً وقفا

حتى تعوَّذتُ بآ زيسَ وآبائى العُلى

الوصيفة : فانيسُ منْ ؟

الملكة : نسيته ؟ كيف نَسيتِى يا تتَا

الخائنُ الذى إلى فارسَ من حينٍ أتَى

يَشى بمصرَ وأخا فُ أن يكون بى وشَى

الوصيفة : ما صنعَ الثعبانُ مو لاتى

الملكة : من النهر دنا

وَفَحَّ ثُـمَّ دَسَّ فى النهـــر لساناً كاللَّظَى

فاحتجبَ النيـــلُ وعا دَ يَبَسًا ما كان ما

واحترقَتْ مدائنٌ بالضّـــفَتَيْنِ وقُرى

الوصيفة : والليثُ يا ســيدتى

الملكة : بعد التَّهيب اجْـترَأَ

مشى على الوادى فهلْ رأيت عاصفاً جَرَى ؟

يقتَـلعُ اليابس والرَّ طبَ ويَفرى ويَطَـا

وكـرَّ حتى غادرَ الـ ـوادىَ قاعاً صفصفا

هو ذا الحُلْمُ فما تفسيرهُ نبئينى ياتتَـا

الوصيفة (لنفسها مضطربة): ماذا أقولُ ؟

الوصيفة (للملكة):

مَلْـكتى لا تفزعى

الملكة : كيف تتَـا كيف لاأفزَعُ والحُلْمُ مَهولُ

ينفدُ النيلُ ويذْوى شَطُّهُ

وتَغُولُ الأهلَ والأوطانَ غُولُ

الوصيفة : رؤياك يا سيدتى من نفسها مؤوّلَهْ
نالتْك من عَشاء أمس ثقـلَةٌ وويلَهَ

الملكة : ماذا أكلتُ مع قمبيزَ وما قُدّم له ؟

الوصيفة : كان العشاءُ ملْكتى مائدةً محمّلَهَ
أكلت يا سيدتى من أرنب متبّلَهَ
ثم أكلت من حَمَلْ وحَمَلُ الفرسُ جَمَلْ

الملكة : ثمّ ؟

الوصيفة : جاءوا بالطير فى الأطباق

الملكة : طيرُ مَنْ ؟

الوصيفة : طيرُ فارس والعراق

الملكة : ثمّ ماذا ؟

الوصيفة : ثم جاءوا بالسمكْ
فرأيتُ الملْكَ فى الأكل انهمَكْ

الملكة : ثم ماذا ؟

الوصيفة : لا أُعدُّ ما حضَرْ من لحوم وبقول وخضَرْ

ثم بالحَلْوَى أتوْا والفاكهة

الملكة : كيف كانت ؟

الوصيفة : تشتهيها الآلهة

الملكة : خلّطت تخليطَ العجوز يا نتَا فما علاقةُ الطعام بالكرى

الوصيفة : الأكلُ قبلَ النوم ثقلٌ وأذى وربمّا جاء بأضغاث الرُّؤى

الملكة (لنفسها) :

عرفتُ الآن رؤيايَ وما خلَّطَ أحلامى

وقد يُغريك بالأكل طُهاةُ الفرسُ والشام

(ثم إلى نتا) : نتَا أين كنتِ ؟

الوصيفة : وراءَ الخدمْ

الملكة : وكيف عَددت علىّ اللُّقَمْ

الوصيفة : لبدتُ هناك فما من يدٍ تفوتُ علىّ ولا من قَدَمْ

ولم يخفَ عنّى كيدٌ يطوفُ ولا وحىُ لحظ ولا همسُ فَمْ

أخافُ القصورَ وأخشى السمومَ وما منزلُ السمّ إلا الدسَمْ

الملكة : يا لكِ من رفيقة محسنة شفيقه
مرحى تِتَا كذا تتَا فلتكن الصديقه

الوصيفة : سيدتى أخجلتنى ليس بما جئتُ عجب
ما قمتُ يا سيدتى إلا ببعض ما وجب

الملكة : ولكن يا تِتَا ما أخطرَ السُّم على بالك
ولى فى فارس عامٌ فما فكّرت فى ذلك

الوصيفة : أرى قمبيزَ والفرسَ بمولاتىَ قد جنُّوا
ولولا ذاك لم يخلُ من السُّم لهما ذهنُ

الملكة : ولِمْ لا نحذرُ السُّمّ أما فى فارس نحنُ
هنا الجلادُ والسيفُ هنا السّجانُ والسّجن

الوصيفة : وماذا ضرَّ ما قلتِ إذا لم يحن الحينْ

الملكة (بعد برهة تفكير) :

أرى قمبيز ذلَّ ورقّ طبعاً بربك هل رأيت عليه حبا

الوصيفة : أجل هو يقصر الخطوات مهلاً وكان عهدها خطفاً ووثبا

(ثم فى تلعثم وتردد) :

سأسألُ فاحلمى عنى فإنى أموتُ ولا أراكِ على غضبِ

سؤالٌ ملكتى هل من جوابِ

الملكة : أدونَكِ يا نتا شىءٌ يُخبأ

الوصيفة : زعمْنا أن قمبيزاً مُحبٌّ فهل تجزينَه بالحبِّ حبَّا

الملكة : أحبَّا !؟ ضلَّ ما قد ظننْت وإن خلتِ ظنَّك لم يكذب

الوصيفة : ولمْ لا وقمبيزُ لا بالقبيح ولا بالدميم ولا بالغبى

ولا هو بالملك البربرىّ ولا الوحش ذى النابِ والمخلب

ولكن فتىً خيِّرٌ كالسحاب وضىءُ البشاشة كالكوكب

يزينُ السريرَ إذا احتلَّه وإن سار كان حُلَى الموكب

الملكة : صدقت تتاهو زينُ الشباب إلهُ القنا قمرُ الغيهب

إذا غُلبتْ فى القتال الملوكُ وفى السلمِ عزَّ فلم يُغلَب

يُسيطرُ كالشمس سلطانُه على مشرق الأرض والمغرب

ولكن متى يا نتا دُلِّهتْ بنات الفراعين بالأجنب

وما نلتقى فى جلال الجدود ولا فى العقيدة والمذهب

بَخٍ بخْ تتا ألفَ مرحَى تتا

الوصيفة : حَنَانَيْك عفواً ولا تغضَبى

لقد قلتُ حقًّا وماذا علىَّ إذا قَوْلَةُ الحق لم تُعجب

«تنسحب الملكة إلى غرفة مجاورة ويدخل قمبيز ....».

قمبيز (يدخل وعليه أمارات الغضب) :

ما أرى من تتا؟ تتا أين مولا تُكَ فيمَ احتجابُها أين سارتْ

تتا (لنفسها): ربِّ ماذا به وما هاج قمبيـ ـز وما بال نفسه اليوم ثارت

تتا (لقمبيز): هى فى حجرة الملابس

قمبـيز : لا بل هى قد جاءها النبا فتوارت

خبّرينى من أبوها أبرياسٌ أم أمازسْ

وبنفريتَ تُسمَّى أم تسمى بنيتاتس

إحذرى أن تكذبينى إحذرى سلطانَ فارس

تتـا : سيدى ما هذه الأخبـ ـار كسرى من رواها

سيدى كيف اتهمتم ملكة الفرس النبيله

قمبيز : سأريها كيف تنقا دُ وتأتى لى ضئيلَهْ
في غدٍ تدخلُ مصراً بنتُ فرعونَ ذليلَهْ
وترى السيفَ مخوفاً وترى النّار مهولَهْ
وترَى النيلَ دماً والـ أرْضَ جَرْداءَ مَحُولَهْ
لا أناسٌ لا مواشٍ لا بناءَ لا خميلَهْ

الوصيفة : سيدى صبراً تجدْ عاقبةَ الصبر جميلَهْ
سيدى لا تُصْغِ إلا لسجَاياك النبيلَهْ

قمبيز : أنا لم أخلَق لبسط الـ ـكَفِّ أستجدى بخيلَهْ
أنا للسيف وللرُّمـ ـح وإخضاع القَبيلَهْ
لا تِتَا . لا . إنَّ بالملْـ ـكة كبراً ومخيلَهْ

(ثم بسخرية) :

أنا من تُرْبٍ خَسيس وهى من أرضٍ جليلَهْ
أنا للطِّين سليلٌ وهى للشمس سليلَهْ

الملكة (وهى راجعة) :

ما الصوتُ مَنْ تُكلّمينَ يا تِتَا

الوصيفة : سيدتى . سـيدىَ الملكُ أتىَ

الملكة (ملتفتة) : الملك جاء حجرتى ؟ كيفَ متىَ ؟ ؟

(ثم ناهضة ومقبلة على الملك):

الملكُ فى مقصورتى يامرحبا يامرحبا

الملك (ويقبل على الملكة) :

سلامٌ ملْكة الفُرس وبنتَ العِلْيَة الصِّيدِ

الملكة : سلامٌ سـيدَ الأرض سلام حيدرَ البيد

ومن دانَتْ له الدنيا وألقَتْ بالمقـاليدِ

(ثم مستمرة): لم أتعوَّدْ أن أرَى مولاىَ عندى فى الضُّحَى

قمبيز : خالفتُ نظْمَ عادتى وجئتُ فى شأن دعَا

الملكة : مالكَ كِسرَى عابساً مالى أراكَ مُغْضبا

الملك (ويصفق) :

أجلْ جِد غضبان .

الملكة : ممَّ الغضَبَ ؟

الملك : رُوَيْدَكَ نقريتُ تدرى السَّبَبْ

الملكة (لنفسها) :

دعانىَ باسمىَ لم يَدْعُنى كمألوف عادته باللّقَبْ

تُرَى لم يزَلْ جاهلًا أننى أتيتُ لفارسَ باسْم كَذبْ

قمبيز (ملتفتاً وراءه خارج الباب وينادى) :

فانيسُ . أَقبلْ أُدنُ جىء

الملكة (لنفسها) : فانيسُ؟ لا ، لا يدخلُ

فانيسُ لا أجهــلهُ ليس لِمصــرَ بالولى

عــدوٌّ قوى وبلا دى كيف يُصفى الودَّ لى

(ثم إلى قمبيز) : مولاى إنى ما فرغـ ـتُ بعد من تجمُّلى

فكيف أستقبل فى هـذا اللبَاس المهمَل

(لنفسها): يا ويلتـــاه ما أرا دَ باصطحاب الرجلُ

إيزيسُ ما بالى أحـ ـسستُ بشرٍّ مقبــل

الملك : مالَكِ يا ملكةُ لم تُرَحّـــبى وتَحْفَلى ؟

مالكَ أجفلت ؟

الملكة (مضطربة) : أنا ؟ لا سيـــدى لم أجفل

الملك : إذَنْ هيِ الاذنَ لفـا نيسَ دَعيـه يدخـل

الملكة : لا بأسَ فى أن أراه عندى إن كنتَ يا سيدى مُصِرّا

لـكن أ أُنسيتَ أن فانيـ سَ خانَ بالأمس عهدَ مصرا

وفرَّ منها ولستُ أدرى ماذا دعاه لأنْ يفرّا

وكان فى الجيش ذا مكانٍ وقادَ براً وقادَ بحـرا

قمبيز : لـكنه اليومَ فى بلادى أجَلُّ مما ذكرتِ قدْرَا

الملكة : وسوف يجزيكم جُحوداً كما جزى أهلَ مصرَ كُفرا

قمبيز : لقد أتانى بكلِّ سرٍّ عن مُلْك مِصرِ لم يُخفِ سرّا

حتى الذى تكتُمينَ عنّى

ثم ينادى : فانيس

فانيس : مَلْكى لبّيْـكَ عشرَا

[ثم هو يدخل] :

سلامُ الشمس من مصرَ سلامُ النارِ من فارسْ

على الملْكة نفريتَ أو الملْكة نِيتاتسْ

الملكة لنفسها :

رمانى النـذلُ بالسّهم

ثم لفانيس : سـلامٌ لكَ يا فانِس

ويا مَنْ هو فى الفُرس ومصرَ القائدُ الفارسْ
وفى القصرين منسوسٍ وسايِسٌ هو الحارسْ

فانيس : وماذا ضرَّ يابنتَ الموالى وإن تأبَىْ فيابنت الأعادى
أجل مولاتِىَ الإغريقُ قومى
أحبُّهمُ ويونانٌ بلادى
هجرتُهما إلى مصر صبيًّا لكسبِ معيشة وطلاب زَادِ
قصدتُ الرزقَ حتى صار عندى وجاوزَهُ إلى المجد اصطيادى
سهرتُ على اللواءِ بمصرَ جُهدى وفرعونٌ وقومُه فى رقاد

الملكة : كذبتَ فلم تكن إلا مسوداً
فانيس : فسوَّدَنى ذكائى واجتهادى
الملكة : أجيراً كنت عند أبى وقومى
فانيس : فَوَلَّنى نشاطى واقتصادى
جعلتُ الأرضَ كالصحراءِ تحتى وكنتُ الليثَ من واد لوادى

الملكة : أراكَ علىَّ يافانيسُ تجْرو أَجَرَّأَكَ المليكُ على عنادى ؟
كَكلبٍ خلْفَ سيِّده تجرَّا فواثَبَ رائحاً وسَطَا بغادى

فانيس: بدأتِ أميرةَ الوادي بشتمي وما أنا يا ابنةَ المقتول بادي
لقد عيَّرتِني أني غريبٌ ولوعٌ بالسفار وبالرِّياد

الملكة: لقد هجم الوقاح على مكاني وأخشى أن يصير إلى التمادي
ثم للملك: مولايَ قف فانيسَ عند حدّه أو رُدّه لا تُلجني لردّه
علمتَ حقدَه على قومي فلا تدعه ينفث في سم حقدِه

الملك: علامَ أقصيه؟

الملكة: لأنه أتى يشي بنا ويفتري كعهده

الملك. فانيسُ جاءَ ناقلًا مبلِّغاً وليس ما جاءَ به من عندِه
[ثم مستمراً]:
أراكِ نفريتُ غيرَ منصفة رويدَكِ لا شيءَ يوجب الغضبا
كوني مكاني؟ ما كنت فاعلةً؟ إذن قلبت الزمانَ فانقلبا

الملكة: لا سيدي إن للزمان يداً قد ضربتْ كفُّ كلِّ من ضربا

الملك: نفريتُ ثُرتِ على فنيس وما حفظتِ ولاءَه
ونسيت خدمته بمصر وما ذكرت بلاءه

الملكة. : سيدي لا. نحِّه أنا لا أطيقُ لقاءه

[ثم مستمرة] :

ما بك مولاىَ ما أثاركَما أذكاك إنى أراك ملتهبَا

قمبيز : أثارنى منك أن كذبتِ وذا فانيسُ قدجاء يفضحُ الكذبا

[ثم مستمراً] :

هلِّى الآن نفريتُ هلى يا نتيتاسُ

بأىِّ إسميكِ أدعوكِ

الملكة : بذا أو ذاكَ لا بأسُ

فيا قمبيزُ لو دانَتْ لك الأيامُ والناسُ

فلن تستطيعَ أن تقْهَرَ نفساً حلّها الياس

قمبيز : أنتِ مملوءةٌ من اليأسِ منى

الملكة : أجل اليأسُ منكَ ملءُ ثيابى

فليكن

الملك : إنى سألت سؤالاً لم إذن هبْتنى وهبْتِ جوابى

كيف أدعوكِ ياعروسُ؟

الملكة : بما شئْت بشرِّ الأسماءِ والألقاب

بالذى أنتَ أهله من بذاءٍ والذى أنتَ أهلُه من سِباب

الملك : أنتِ لم تُذنبي بل الذنبُ ذَنْبي
أنا قد شئتُ أن تكونى ركابى

الملكة : ليس ما شئتَ أو أتيْتَ غريباً
قد تكونُ المهَا ركابَ الذّئاب

الملك : احْذَرى أيتُها الفتاةُ انفجارى

الملكة : انفجرْ ما بى انفجارُكَ ما بى

الملك : جئتِ ذنباً تُعاقَبينَ عليه كلُّ ذنب رهينةٌ بالعقابِ

الوصيفة (بصوت منخفض) :

اكظمى الغيظَ يا أميرةُ

الملكة (وتشير الى قمبيز) :

بل يخـ ـرجُ من حُجرتى ومن محْرابى

الملك (لفانيس والوصيفة) :

أنظُرا واسمَعا تحاوِلُ أن أبْـ ـرحَ قصرى وأن أُفارِقَ بابى

الوصيفة (للملكة بصوت منخفض) :

راجعى الحلمَ مَلْكتى إسايريه لا طفيه لينى له فى الخطاب
لا تهيجى به الجنون فيطغى إنهُ آدمٌ بظُفـــر ونابِ

فانيس (همساً) :

أحْسنى الرّدّ ملْكتى واحفظينا

إننـــا ها هنا ثلاثُ رقابِ

الملكة : خفتَ فانيسُ من عذابِ نار

كيفَ عرّضت أنْفُساً للعذابِ

عجبٌ من خراب عمرك تخشى

أنتَ من ساقَ أمةً للخرابِ

الملك : بنتُ مَنْ أنت يا نتيتاسُ

الملكة : بنتُ الشّمس بنتُ العواهل الأربابِ

والذى فى السماءِ فهو إلهٌ

الملك : فلماذا مَرّغْته فى التراب؟

قد نبذتَ اسمَكَ الذى كان سَمّا كِ وجُبْتَ البلادَ باسمٍ كذاب

(ثم مستمراً) نتيتاسُ تَمرّدْتِ فما أبقيْت لى صبراَ

وكلّمتُك فى الذنبِ فما أبديْت لى عُـــذراَ

وما أجرأ ما كنت على شتمى ما أجراَ

فما غَرَّكِ بالبأسِ وبالسلطانِ ما غَرَّا

الوصيفة (بصوت منخفض):

خُذى فى اللينِ مولاتى

فانيس (همساً): خُذى سيدتى الحذرَا

فقد تأخذُه النوبـ ـةُ حتى يَحْرقُ القصرا

قمبيز: دَعى العزَّةَ بالجنسُ نتيتاسُ دَعى الكِبرَا

ولا تُلقِ على إحسا نَ النسيانَ والكُفرا

أما أحْببْتُكِ الحبَّ الـ ـذى أنت به أدرَى

وفضَّلْتُكِ فى القصر على البيضاءِ والسمرَا

وقدَّمتك فى الأزوا ج قبلَ الأخت من كسرَى

الملكة: لقد كنتَ وراءَ الحُـ ـبِّ تُخفى النّاب والظفرَا

وما أفرحنى أنى تقدمتُ على الأسرَى

ولا أنكَ تْرعانى وتنْسَى النعجةَ الأخرَى

الملك: ملكةَ الفرسِ أمس

الملكة: واليوم؟

الملك: كلا لست أهلاً لصحبة المالكينَا

الملكة : أنا بنتُ الملوك أصلحُ للمُلـ ك جدودى تملّكوا العالمينا

الملك : قد خُدعتُ الشهورَ يا ابنةَ فرعو ن ولولا فانس خدعتُ السنينا

فانيس (لنفسه) :

أحمَدُ الله قد نجوتُ برأسى وأمنتُ المُهوّسَ المجنونا

الملكة : ليس فانيسُ للأمانة أهلاً إن من خانَ لم يخفْ أن يخونا

الملك : ستَرَين العقابَ

الملكة : إنى تأهبْ تُ فهات العذابَ هات المَنونا

الملك : لا. فما هاهنا العقاب ولـكن

الملكة : أينَ ؟

الملك : فى حَيثُ شئتُ لم تَسألينا

مصرُ أولى بأن أحاسبَ فيها وأحلّ العقابَ بالخادعينَا

فى غد تدخلينَ مصرَ مع الجيـ ـش

الملكة : أنا ؟ لا أرافقُ الغاصبينا

الملك : بل تسيرينَ تحت راية فانيـ ـسَ وما تَصحبينَ إلا أمينـــا

الملكة : سيدى

الوصيفة : ملكتى دعى العُنْفَ

الملك : ماذا ؟

الملكة : كيف لقّبْتَ بالأمين الخؤونا

فانيس [همساً] :

صانعى أيُّها الأميرة

الملكة : دَعْــــنى

فانيس : أهْدَنى حاسنى عسى أن يلينا

الوصيفة : ملْكتى قال سيدى الملكُ الحقّ

الملكة : صَه أنت ياتّنا تكذبينا

فانيس : سَتَرَيْنَ النعيمَ تحتَ لوائى

الملكة : بل أرى البؤْسَ تحتهُ والهُونا

الملك : وكأن الوجهين بانا من الوا دى

وزالا سهولةً وحُزونا

أرسُل السيلَ تارةً وأجيلُ السيفَ آناً وأشعلُ النارَ حيناً

الملكة : عُدْ إلى الرُّشد ما جئتَ مصرُ يا قمـ
ـبيزُ ما ذنبُ أهلهـا الآمنينا

(ثم مستمرة) :

أميرَ الفُرْس قلنـا كلَّ شيء
ولم نَقُلْ الحقيقـةَ والصوابَا

الملك : أعندك منهما شيءٌ ؟

الملكة : ولم لا

الملك : إذَنْ قوليهما وزنى الخطَابَا

ذكرت الحربَ هل تخشينَ منها

الملكة : ولم لا وهى أجدرُ أن تُهابا

الملك : ولكنا ملوكَ الفرس نغشَى مخاوفَها ونجعلُها لعابا

أراك هدأت نا تيتاسُ روعا

فانيس : وكان الرّشدُ فارقَها فثابا

الملكة : ذكرتَ مليكَ فارسَ حربَ مصر وأنْسيتَ العواقبَ والصعابا

سَيَطْوِى الجيشُ نحوَ حياض مصرٍ
بحـــارَ الملح واللجَجَ العذابَا
وأغبى الناس منشمرٌ لحربٍ توقَّعَ أن يُصيبَ ولا يُصابا
ودونَ النيل

الملك : ماذا دون مصرٍ ؟

الملكة : يجوبُ الجيشُ صحراءَ يبابا
ترَى تيهاً تَجُرُّ الخيلُ فيه قوائمَها وتنسحبُ انسحابَا
يَضلُّ الجيشُ هديتَه عليه ويُظمئُه ويوردُه السَّرابا
ترَى جلَدَ الجمال عليه يَفْنَى وتحسَبُها من اللَّهَث الكلابَا

الملك : لا تُراعى فما على الجيش بأسٌ كلُّ شيء على الحدود تهيَّا
قد وجدنا الجرارَ فى مصرَ والمـــاءَ ولم نَعْدَمَ الرجالَ السُّقيَّا

فانيس : واشترينا الخفيرَ بالمال والحـــارسَ والحامىَ الأمينَ القويَّا

الملكة [لفانيس] :
كلَّ هـذا فعلتَهُ أنت يا نذْ لُ

فانيس : أجلْ ما أتيتُ أمراً فريَّا

إن قمبيزَ بى حقٌّ وفرعو نُ أمازيسُ لم يكن بى حَفياً

الملكة : وابنُه ماجنَى عليك ومصرٌ؟

فانيس : جَنَياَ الطردَ والجحودَ عليّاً

أنا كالسيف لم يُصنْ كَمِيٌّ قدرمانى فاعتضتُ عنه كمياً

الملكة : وجَحدتَ الذى طعمتَ من النعمة

فانيس : لا . ماطعمتُ من ذاك شيأً

كنت كالسيف كلما كافؤنى جعلوا السُّمَّ لى طعاماً وريَّا

الملكة [إلى قمبيز]:

وهبكَ بلغتَ يامولاىَ مصراً

الملك : وماذا عندَ مصرَ؟

الملكة : تجىءُ غابا

ترى أسَدَ القتال عليه شتَّى تقلَّدتِ الصوارمَ والحرابَا

وثمَّ ترى الفيالقَ من رُماةٍ تكادُ قسيُّهم تَردُ السحابَا

إذا نظروا على زادٍ غراباً أصابوا بينَ عَيْنَيهِ الغرابَا

الملك [يبتسم مستهزئاً]:

رُماةٌ ؟

[ثم إلى فانيس والوصيفة] :

حدثوها كيفَ أرمى

وكيف أصيبُ فى السُّحُب العُقابا

الملكة : أأنتَ بجمعهم تُقتاس كسرَى

وأنتَ الموتُ حيث رمَى أصابا

الملك : إذَنْ ماذا ؟

الملكة : أخافُ عليك جيشاً

كمرْكُوم الحصى يُخْطى الحسابا

وأخشى أن يقول الناسُ زوجى

غـــداةَ ذهابه نسىَ الإيابا

الملك [لفانيس] :

فانيسُ صَفِّـــق وناد يا معشرَ القُـــواد

[يدخل الحراس والقواد]

قمبيز [للقائد ميجا صاحب الأخبار] :

ميجا تعَال

ميجا : لبيـــكَ رَبِّى لك التحياتُ والسجودُ

الملك [للملكة] :

يا ملْكةَ الفرس ذاكَ ميجا يعلم ما يحشُدُ الوجودُ

خريطةُ الأرض فى يديه السفنُ والخيلُ والجنودُ

الملك[لميجا]: ميجا تكَلّم ماحالُ مصر ماالجيش فى مصْرَ ما الحدود

الملكة : هاتِ ميجا قل تكلّم

ميجا [فى اضطراب] : ملكتى

الملكة : ما الذى تدرى عن الجيش المجيدْ

ميجا : جيشُ مولاتىَ كالعهد به كاملُ العُدّاة موفورُ العديد

الملك [فى غضب] :

هات ما عندَك من أخباره

واخشَ أن تَنقُص واحذر أن تزيدْ

ميجا [مضطرباً] :

يا إلَهَ الفرس لا تبرحْ فمى

وأعِنّى . كيف أُبدى وأُعيد

[ثم للملكة] :

إن وردَ السلم من كسرته نسيَتْ أظفارَها فيه الأسود

واختلافُ الجُند فيما بينهُمْ أخذَ البأسَ وإن أبقى الحديد
أصبح الجيش

(ويسكت قليلا)

الملك [لميجا]: تكلمْ ______

الملكة: قل أبنْ

ميجا: كالقطيع اختلفتْ فيه الجلود
حُشرَ اليونانُ فى رايته وتراغى الزّنج وانْدسّ العبيد
وغَدَا كلُّ طريدٍ لم يجِدْ سببَ الرزق أتى الجيشَ يصيد

الملكة [لنفسها]: والخيلُ ياميجا هناك؟

ميجا: قليلةٌ فى جيش مصرَ قليلةُ الفرسان

الملكة: أسفاً على الفتيان أينَ حماسُهم قتَلَ النعيمُ حميّةَ الفتيان

الملك [ملتفتاً إلى ميجا]:
مليكةُ العرس ميجا قد اكتفَتْ ببيانك
فخذ مرازبةَ الفرس وامْض ميجا لشانكْ

نقيتاس: قمبيزُ ماشئت فاصنع إنى أراك مُصرًّا
تُغيرُ أنت وتغزو ويحفظ الله مصرَا

قمبيز : وفارسٌ يابنـــةَ النيـ ـل ما لفـارس ذكرُ

نتيتاس : لا أيهـــا المَلْك مالى فى غير مهـــدىً فكرُ

قمبيز : نتيتاسُ اسمعى أنتِ تُسيشـــين إلى مصـرَا

غداً يهلكُ أهـــلُوها وتُمسى تحتهـم قـــبرَا

نتيتاس : هـذا التجنّى كثيرٌ هذا لعمرى الغـــرورُ

لقد تحمّلَ صـــدرى ما لا تُطيقُ الصـــدور

(ثم مستمراً) : كفاعبثاً بسلطانى وبأسى كفى ماكان ناتيتاسُ منكِ

غداً يتحدّثُ الركبانُ عنى ويروى الناسُ مايروون عنك

* * *

كذبتْ علىّ يابنة أبرياس حذار حذار من بطشى وفتكى

* * *

أنا قمبـــيز بن كسرى أنا جبـــار الوجـود

وأنا النـــارُ أصولى وبنو النار جـــدودى

ويـل فرعونَ مصر من جنودى وبنـــودى

* * *

قمبيز [لنفسه]: رباهُ ويحى ويحَ لى ربـــاهُ مالى لا أدعى

رباهُ ناراهُ ما الذى أجــدُ
كأنما النــارُ فى تتَّقــد

يا نَارُ كونى لِى أو يارمادُ كُنْ عونى

(ثم إلى نتيتاس) : انتظرى البطش يا بنت فرعون

أنا قمبيز بنُ كسرى أنا وحشٌ أنا غولْ
لستُ بالعجــل أبالى وعلى النــار أبولْ

قمبيز (لنفسه) : قد رجع الصــغيرُ لى يا ليتــه لم يرجع
ما بَالُ عيــنى أظلمتْ ما بالُ ساقى جَمَــدَتْ
أين الطبيبُ أزْدَشِرْ ؟

(ويغشاه الصراع)

(الملــكة بعد أن يأتى الطبيب) :

هذا الطبيبُ قد حَضَرْ

(يدخل الطبيب ويطلب نقله)

(الملــكة تدنو منه فى حنو وعطف وتقول) :

يا ويحَ زوجى ويحَــه هـاجَ وعاده الصرَعْ
يا نَارُ كونى حوله أدركْهُ يا آمونُ رع

(يخرجون به)

فانيس : الآن نتيتاسُ تعالَىْ إلى الهُدَى

تعالَىْ إلى الرأى الصوابِ تعالى

نتيتاسُ أنت اليومَ ملكةُ فارس

بلغتِ الذُّرا من سُؤْدد وجلالِ

الملكة : ولكن أبى فانيس . لاتنسَ ما أبى

وَجَدِّى وأنى بنتُ أصيدَ عالى

فانيس : ولكن ألم يخلعْ أباك أمازسٌ

ويفتكْ به فى ثورة وقتال

ويجلسْ على كرسىّ مصرَ مكانَه

ويخلُفْه فى جاهٍ أفادَ ومالِ

الملكة : أجَلْ قد خُلعنَا مُلكنَا وتصرَّفَتْ

بنا سوقَةٌ من جُندنا وموالِى

فانيس : إذَنْ فدعى قمبيزَ يثأر لزوجه

ويضربْ بيُمْنى أو يُصبْ بشمال

دعيه يعاقب سارقَ التاج مثلما
يُعاقَبُ فى منفيس لَصُّ لآلى

الملكة : تأملْ وحقِّق من تخاطبُ يا فتى

فانيس : أخاطِبُ عقلا من وراء جَمالِ
لقد قلتُ قولًا ليسَ يأباهُ عاقلٌ
فلا تنظرينى واسمعى لمَقالى

الملكة : ولكن أمامِى صورةٌ من خيانةٍ

فانيس : ومالَكِ يا بنتَ الملوك وما لى

الملكة : وأنتِ تِتاَ ماذا تَرَيْنْ ؟

الوصيفة : خيانةَ وأطماعَ قُوّاد ولؤْمَ رجال

الملكة : فديتُكِ من مصريةٍ

الوصيفة : بل أنا الفِدَى لسيدتى من قدوةٍ ومثال

الملكة [لفانيس] :
أتسمعُ كلبَ الصيدِ ؟

فانيس : حمقاءُ غرّةٌ ومالىَ أُلقِى للحماقةِ بالى

الملكة : عمّى لك يافانيسُ وامشِ بلا عَصَا
ودونَ دليلٍ فى رءوسِ جبالِ

فانيس : لكَ الشكرُ مولاتى

الملكة : لكَ الويلُ من فتىً فإنكَ من مَعْنَى المُروءة خالى
أأُوطِئُ خيلَ الفرس مهدى ومَلعبى
وتُـربَةَ آبائى ومنزلَ آلى
وأشعلُ نارَ الفُرسِ فى أيكة الصِّبا
وَما بوَّأَتْنى من رُبًى وظلال
وأغمدُ سيفَ الفُرس فى صدر أمة
نَمَتْنى وتَنْمى أُسرتى وعيالِى
إذَنْ لا أوى جَدِّى السماء ولا أبى
ولا جَلَّ عَمِّى أو تبارَكَ خالِى
وأفضلُ منى كلُّ ذات مُلاءة
وراء حُقولٍ أو وراء تلالِ
تَهُشُّ على شاةٍ وتحملُ جَرَّةً
وتَمْشى على الوادى بغير نِعال

(يدخل قمبيز ثم الحاجب ويقول) :

إله الفُرس

الملك : ماذا ؟

الحاجب : ثَمَّ رُسْلٌ أتَوا من مصْرَ بالنبأ العظيم

الملك : وما يقولون؟

الحاجب : يقـــولون أمازيسُ هَلك

الملك : ثُمَّ ؟

الحاجب : يقولون ابنُـــه بسامتيـــك قدْ مَلك

الملكة [لنفسها] :

مصرُ . . . . رُسْلٌ ؟ ليتَ شعرى ما الخَـــبرَ

وطنى يَا رَبِّ لا مُسَّ بشَرْ

قمبيز الملك [ملتفتاً بالملكة والوصيفة] :

يا ملْكةَ الفرس أصْغى ويا نتَــا هل سمعت

قد مَاتَ فرعونُ مصرٍ

الملكة والوصيفة [بصوت واحد] :

تعيشُ مصرُ وتَبْـــقَى

« ســتـار »

الفصل الثالث

المنظر الأول

« الأميرة نفريت على ضفاف النيل لتشكو إليه وتنتحر بأن تلقى بنفسها فيه »

ويحى لقــد أودَتْ بىَ الأنانيه

عشتُ فما أحببْتُ إلا ذاتيَــه

ولا افتكرْتُ بسوَى لَذّاتيَه

حتى قَذفتُ وطنى فى الهــاويه

النيلُ . النِّيلُ بجنبى هاميَــه

أمواجُه تهتــفُ بى منــاديه

* * *

يا نيــلُ يا قوام كلِّ شىّ

ومانحَ الحيــاة كُلَّ حىِّ

هَىّ اغسل الذنبَ العظــيم هىّ

(ثم تلقى نفسهـــا)

المنظر الثانى

فى منفيس

« جماعة من المصريين والمصريات يتحادثون ويتذاكرون »
« يغنى قمبيز وجنوده وبعض ما أصاب الناس من المصائب »
« من جراء الفتح الفارسى — فى ساحة من ساحات منفيس »

أحد الرجال [لزميل له] :

تعالى يا (باطا) قُلْ لىَ بالله
كيف ترى الحُكمَا كيف ترى الظُّلما

باطا : أصخْ أصخْ يا داد اسمع وكن عونى
قمبيزَ فى الظلم بألف فرعون

[ثم لهجار]: وأنت يا هجارْ ماذا تقولينا

هجار : آمونُ ذو المَنّ يُبْقِى الفراعينا
الفُرسُ فى مصرَ طغيانُهم قد زادْ
هُمْ صلبوا التمساحْ على ضفاف الوادْ
وكلّفُوا العصفورْ يمشى مع الصياد

(تقبل امرأة مصرية عجوز)

فيقول أحدهم: وهـــذه دوباره

آخر : الشيخـــةُ الثرثاره

الأول : هـــلّمى يا دوبارا هات اذكرى الأخبارا

دوباره : لا تسألونى ما الخبرَ مصرُ ترى اليومَ العــبرَ

لكن صَهِ حذار لا يدرينَ دارى

* * *

عارضـــنى الساعةَ فى طريـــق

فَتى مليحُ الحسن والـــبريق

يسألها سائل: مِن الجنود ؟

العجوز : لا من القــواد

عالى المكان ظاهــرُ الميـــلاد

آخر : وما أتى ما فعلا ؟

العجوز : عانَقَـــنى وقبّـــلا

الأول : وأينَ ؟ فوق فمك الدُّرىّ

آخر : أو من على جبينك البدرىّ

* * *

آخر : أوفوق خدّ مثل روث البغل

الأول : أو فوق ذقن مثل كعب النعل

* * *

العجوز : أهذه نجدتُكمْ يا فتيَهْ

أهكذا تُحمَى بمصرَ النِّسوَهْ

* * *

يا أسفًا على القرونِ الخاليَهْ

يا أسفا على النفوسِ العاليَهْ

(وتنصرف مغضبة مهرولة)

أحدهم (يرى شخصاً مقبلا) :

هذا أها ، من أينَ جئْتَ ؟

ثانى : كيف أنتَ يا أها ؟

أها : من ضيعتى

الأول : وكيف هِى ؟

أها : لقد لَقيَتْ ما ساءها

* * *

إوَزِّى كله طاحَ وبَطِّى كلُّه طارا

وأختى خُطِفَت منى وزوجى جُلِّلَت عارا

* * *

الجماعة : إذن لقد آن أن نثُورَ نَطْرُدُ قمبيزَ والجنودا

الغابُ فى شقوة وبُؤس فما الذى يُمسك الأسودا

أحد الجماعة :

خذوا حذركم أقبل الطاغيَه مع الوزراء فى الحاشيَه

وذا السَّيفُ فى يدِ جلَّادِه يُسَلُّ على الأرْؤس العاليَه

* * *

آخر : تلك مصــائبَ وقدْ صُبَّتْ على هذا البــلدْ

امضُوا بنَا امضوا بنا ليَسمعَنَّــا أحَــدْ

« ينصرف المصريون ويدخل قبيز فى وزرائه وقواده »

« ثم يقبل جنود يسوقون أسرى من النوب ... ... »

قمبيز : ماذا يَسُــوقُ الجنودُ مَــن الوجوهُ السودُ ؟

هذى عفاريتُ

وزير : لا بل مولاى هــذى قرودُ

قمبيز : لكنَّهم حيثُ دارتْ رَحَى القتــال أُســودُ

بَلَوْتهم فى القتــالِ لما حَوَتْنَــا الحــدودُ

قائد : النوبُ جُنــدُ بسَامَ

قائد آخر : بل هم أشَدُّ جنــوده

وأثبتُ الجيش يومَ الـ قتــالِ تحتَ بنودِه

قمبيز : ياجُنْدُ حلوا عن الأسرى وثاقَهُم

خَلَّوْا عن السُّودِ قد أعتقتُ أقرانى

ويا بنى النُّوبِ مُلْكى لَنْ يضيقَ بكم

من شاءَ فليبقَ فى مُلْكى وسلطانى

والجيشُ داركُمُ إن كان يُعْجِبكُمُ

أن تلحَقوا بمُشاتى أو بفرْسانى

الأسرى النوب :

يا بنى النوب هَلُمّ رقصةَ الحربِ لكسرَى

سيِّدِ الأرضِ عَفا عنَّا فما نحنُ بأسرَى

« ثم يفك وثاقهم فيرقصون رقصة الحرب وينشدون »

النُّوبُ جيلْ ، حُرٌّ أصيلْ ، يقضى الديونْ

نحنُ الأسودْ ، حُمرُ الجلودْ ، حُمرُ العيونْ

لنا لِبدَ ، من الزَّرَدْ ، هى الحصونْ

نَغْشى القتالْ ، ولا نُبالْ ، طعمَ المنونْ

* * *

نحنُ شعوبٌ وشيعٌ وراءَ أسوانَ نَقَع

عروشُنا من الجريدْ تيجانُنا من الوَدَعْ

* * *

نحن قبيلَ الشُّلُكِ فى العنجريبِ نتَّكى

والصيدَنَهوَى والقَنَص ونَطَّلى بالــودَك

* * *

للحرب نمشى الهرولَة نبعثُ فيهــا الجلجلَه

ممزوجةٌ بالولولَه

(وبعد الفروغ من الرقص يقبل عليهم قمبيز ويقول) :

قمبيز : زِه يا جنود زه يا أسودْ

(كبير النوب لخازن الملك) :

زِه زِه هاتِ النقودْ

(يدفع الخازن إليهم مالا فيأخذونه وينصرفون)

(يتراءى فرسان ثلاثة)

قمبيز : مَن الغُبار ؟

وزير : رسُلٌ

قمبيز : ماذا إلينا حَمَلُوا ؟

قائد : ها هُم قد تَرَجَّلُوا

[يقف الفرسان بحضرة الملك]

قمبيز : ماذا وراء الرُّسُلْ ؟

أحدهم : الدعوات للملك

قمبيز : ماذا لديكُمْ ما الخَبَرْ ؟

أحدهم : حوادثٌ ذاتُ خطَرْ

قمبيز : حوادث؟قل أخا الهيجا تكلم

الرسول : بسَامتيكُ ياموَلايَ خانا

الوزير الأكبر : بَسامتيك خان ؟

الرسول : أجل أميرى

قمبيز : وكيف ؟ وما أتى ؟

الرسول : نقَضَ الأمانا

قمبيز : وما برهانُكم

الرسول : كُتُبٌ ورُسُلٌ يُثيرُ بها القُرَى آناً فآنا

قمبيز : وهل وجدتْ دعايتَه سميعاً وهل حلَّتْ من الوادى مكانا

الرسول : أجابت دعوة المخلوع مُدْنٌ ومدنٌ ماجعلن لذاك شانا

قمبيز : وأين فرعونُ بَسْمَا

الرسول : فى منف يغدو ويروح

حُرٌّ كما شئتَ له بين القصور والصُّروح
من معبدٍ لمعبدٍ ومن ضريحٍ لضريح
وحولَه كهانُه فيس يجُرُّونَ المُسوح
وكلُّهم مُشيرُه

الوزير الأكبر : بئسَ المُشيرُ والنَّصوحْ
آخـــر : من لم يكن كاهناً فى مِصر أو ملِكا
ولا تراه لهـذا أو لِذا تَبَعَا
فلا تقيسَنَّ فى هذى البلاد به
إلاَّ المواشىَ والأحجارَ والسِّلَعَا

قمبيز : وزرائى ودهاقينى انظروا انظروا ذلك فرعون «بسما»
الوزير الأكبر : يدفعُ القوادُ والجندُ به وهو فى القيدِ يجُرُّ الأدْهَما
قائد : كادَ فرعونُ من استكباره أنْفَهُ يدفعُ فى أنف السما

[فرعون يقف بين يدى قمبيز فى عظمة وإباء واستكبار]

قمبيز : بسامتيك
فرعون : قمبيز
قمبيز : أتدعو باسمه المَلْكَا

فرعون : غــداً تَفقدُكَ الفُرسُ وَيخْــلُو عرشُهَا منكا
وَملْكٌ قد مَضَى عــنِّى سيمضى فى غــدٍ عنكا

[قمبـيز يدخل فى الغضب شيئاً فشيئاً]

قمبـــيز : وهــذا الفتح يا فرعو ن ؟

فرعون : عــدوانٌ وإجرامُ
أما عنــدكَ يا قمبيـ ـزُ للنكبة إكرام

* * *

قمبـــيز : عفوتُ عنكَ أمس يا بَساما فلم تَرْعَ الوفَا
فرعون : يا عَجبـَـا يا عجبـَـا عبدٌ عن الرَّبِّ عفـَا
قمبيز (هائجاً): خُــذوه بالخناجر سلُّوا لسانَ الفاجر
فرعون [فى عظمة وصبر وثبات] :
هاتوا سيوفَ الفُرس هاتُوا القَنـا
هاتوا المُدَى هاتوا حبالَ الحديدْ
لا تحْسَبُونى بشراً بائداً فرعونُ حيٌّ خالدٌ لا يبيدْ
قمبـيز : إذن خذوه بعيداً صبُّوا عليه الحــديدا

« يأخذه الجند ويخرجون به »

[يدنو وزير شيخ من قمبيز ويقول له]

القائد : مولاىَ تلك غضبةُ المقهور ونزوةُ الضرغامة المأسور
مولاىَ بالنار بقُدس النور اغفر لهذا الصارم المكسور
فإنه ضحيةُ الأمور

قمبيز [صائحاً بالجند وهم ذاهبون بفرعون بسما] :

إذن رُدُّوا الأسيرَ إلى رُدّوا فإنَّا ما انتهينا منه بعد

« يرجع الجند بفرعون ويقفونه أمام قمبيز »

قمبيز : تعال فرعون بسما تعالَ منى ناحيه
لقد عفوتُ مرةً وقد تكونُ الثانيه

فرعون : لا مرحباً أمس ولا الـ يوم بعفو الطَّاغيه

قمبيز : تأمل هلْ لبستَ اليوم ذلاًّ وكنتَ تجرُّ أمس الذيلَ تيها

فرعون : كذا الدنيا تُغَيِّرُ يا بن كسرَى فخفّها إنها لا خيرَ فيها
وهبك قهرتنى أقهرتَ مصرا

قمبيز : أجلْ ووضعتُ سيفى فى بنيها

وبعدَ غدٍ أطوّقها بنار تطوفُ على البلاد وما يليها

وتجعل من هيا كلها رَماداً وتُنزلُ فى الأزقة مُترفيها

وتدعَكُ فى تراب الذل أنفاً

يطولُ على النجوم ويزدريها

فرعون : رويدكَ يا بنَ كسرَى قف تمهّلْ

فسادةُ مصرَ تقهرُ قاهريها

قمبيز : رويدَكَ أنت يا فرعونُ إنى

إذا حطمتُ مصرَ فمن يقيها

* * *

أليستْ فارسٌ والأرضُ تحتى

وأمرى فى الجنوب وفى الشّمال

وقد غطّتْ فضاءَ الأرض خيلى

وهبتْ فى السهول وفى الجبال

القائد : شمخت بخيلك يا فارسىُّ فماذا صنعتَ بخيل القدرْ

تأمّل مكانى وما حلّ بى ألم تتعظ بى ألم تزدجرْ

قمبيز : ما أنت يا مخدوع

فرعون : فرعونُ بسما

قمبيز : بل أنت مأســورٌ عليك قيودُ

وغداً ينوبُ عن القصور ورحْبها

سجنٌ يضيقُ ومنزلٌ مسدودُ

وتدسُّ في الأجداث غير محـنّط

يلهو بهيكلك البـــلى والدُّودُ

فرعون : قمبـــيز

قمبيز : فرعون بسما صـــلِّ ابتهل

واهتف لعَلَّ العجل عنك يذودُ

أنظر إلى أينَ انحططتَ

فرعون : كذبتْ لَــمْ

ينحطَّ للشرف الرفيع عمـــودُ

إن الجواهرَ فى التراب جواهرٌ

والأسد فى قفص الحديد أسودُ

قمبيز : سنرى هلموا يا جنودُ أسيرَكم

عودوا به من حيثُ جئتم عودُوا

قمبيز [مستمراً] :

وأين نفريتُ ابنةُ الكذاب قد آن ينالها عقابى

الوزير الأكبر :

نفريتُ من مخافة الحساب ألقتْ بنفسها إلى العُبَاب

وذهبتْ

قمبيز [ويضحك ضحكة جنونية] :

لكن بلا إياب

[تحضر نتيتاس وتقول] :

نتيتاس : قمبيــز ؟

قمبيز : نتيتَاس ؟

نتيتاس : أجلْ

قمبيز : وماذا أتَى بكْ

نتيتاس : أتيتُ أنقــذُ قومى وموطنى من عذابكْ

قمبيز : والزوْجُ يا نتيتاسُ ؟

نتيتاس : وأنقـــذُ الزوْجَ أيضا

قمبيز[ساخراً]: وِممَّ ؟

نتيتاس : من شـدةِ البـلاء وغضب الأرض والسماءِ

قمبيز [فى غضب] :

إذهبى يا بنتَ فرعونَ إذهبى

اعـــزُبى يا حيَّةَ النيل اعْزُبى

فانيس : تأخـــرى سيدتى لا تعـرِضى لغضبَـــه

قمبيز : فانيسُ أنت ها هنا

فانيس : مولاىَ لِى لم ينتبـــه

نتيتاس[متهكمة]: مولاك كم تخـــدعُهُ

مـــولاك كم تسْخَرُ به

قمبيز[إلى قواده]: أحقٌّ هو بى يهـــزأ

[ثم إلى فانيس]: أحـــقٌّ أنتَ بى تَسْخَرْ

وفى الأحلام تبـدو لى وهذا الوجه لى يظهــرْ

وقد يصفرُّ كالليمو نِ أو يحمرُّ كالبنجر

[ويهجم عليه بالخنجر]

فانيس : أميرى سيّدى ملكى

قمبيز [ويطعنه بالخنجر] : أغِثْـهُ أيها الخنجرْ

[ضجة فى صفوف المصريين]

أحدهم : قد هَلك الواشى

آخر : قد هلك الخائنْ

كافاه قمبيز شرَّ المكافاةِ

فانيس (بعد أن يضربه قمبيز بالخنجر) :

آهِ من الخَنجرِ ما أحرُّهُ آهِ من الحِمام ما أمرّه

(لقمبيز) : قمبيزُ شَلت يمينُكْ ولا أفاقَ جنُونُكُ

(لنفسه) : ويحى أرى عينى تَغيمُ وساعتى

تدنو وأشْعرُ بانقطاعِ فؤادى

الذنبُ لى أنا قد خرجتُ لفارس

ومنحتُ مجنوناً هناك وِدادى

فانيسُ أنت نشأت جُنديا فمتْ
كالجند واقِ مصارعَ القوّادِ
سيانِ حينَ تُحطُّ فى جوف الثرى
موتُ الفراش وموتةُ الجلاد
يا نفسُ لم أحملْ عليكِ دَنيّةً
لاقِى المنيّةَ بالضمير الهادى
يونانُ تغفرُ لى وآلهتى بها
سَهرتْ عيونُهم على أولادى
قد خُنتُ مصرَ وخُنتُ ساداتى بها
لكننى ما خنتُ قط بلادى

(أصوات من جانب المصريين) :

فانيسُ لا علمَ لهُ بما جرَى
قد قتلوا أولاده وما درى

[تظهر الجند يدفعون فتى فيقول قمبيز] :

قمبيز : وهذا الفتى مَنْ و لِمْ سقتموه إلَىَّ
جندى : فتىً فى النّواحى يرودُ
قمبيز : وما كان يأتى ؟

الجندى : يُشيرُ البلاد

ويُغْرِى القُرَى باغتيالِ الجُنودْ

قمبيز : تنحّوْا به فاقطعوا رأسَه عساهُ لأمثالها لا يعودْ

نتيتاس [تستمع وهى متراجعة ضجة فتنظر فيستوقفها المنظر فتقول] :

ماذا رأيتُ وماذا ؟ سمعتُ ؟ مَن يدفعونا

مَن ذا إلى النار ساقوا من أوْرَدُوا الأُنونا

تاسُ ؟ أجلْ هو تاس أتوْا به المجنونا

قساَ الجنودُ عليه والجُنْدُ لا يرحمونَا

* * *

ما بالهُ عرف الوفاء وكيف ثابَ إلى الرشّادْ

ربى . أأشفُعُ فيه ؟ لا . لا كيف أمنعه الجهادْ

لا . لن تحولَ شفاعتى بين الضّحية والبلادْ

* * *

هذه ميتةُ عِزٍّ امض تاسُ بسلامِ

قد صفحنا لك عن ذا ك التّجنّىِ والأثامِ

لا تمُت بالكاسِ والطا سِ ولكن بالحُسَام

سرّنى أنك تقضى للحمَى حقّ الزِّمام

وشفـــانى أنك الذاّ ئدُ عن مِصرَ المحامِى
زلْ لتبقى كـودادى مُتْ لتَحيَ كـغرامِى

[ثم تتراجع وتقول] :

والآن إلى طيبة والصعيدْ لحشر الدُّعاةِ وحشْد الجُنود
وقهْرِ العدوّ وإرغامِه وقَذْف المُغير وراء الحدودْ

[وتخرج]

[يستجمع تاسو ويقول ، كأنما سمع ما قالت نيتاس] :

عفت نتيتاس فيا مرحبا بك اليوم ياموت من زائر

قمبيز [إلى وزرائه] :

ما الرأى يا وزرائى فإننى لســتُ أدرِى
ماذا بأبْناءِ مصـــرٍ من اختيال وكِبْرْ

قائد : نحن بنـو الشيطان وهم بنـو الإنسان
ثان : والناسُ من طين السَّكَكْ وهم سُـــلالةُ المَلَكْ
قمبيز : أبىّ لعمرىَ فرعونُ مصر ويُشبهُه قـومهُ فى إباه
سأدْعَكُ فى التربْ آنافَهم وأُلْصقُ بالأرض تلك الجباه
قائد : سيّدى لا تُبـد رِفقا وامض فى الأعنـــاق دَقّاً

ثان : واهدم الأبراجَ هَدْمَا واحرق الأجرَانَ حَرْقا

ثالث : ودَع الوادىَ قاعا واحلق الشَّطَّيْن حلْقَا

قائدرابع [عالى السن] :

سيدى بل تَرَفَّق فهو بالقادر أليَق

قمبيز [يضحك ضحكة جنونية] :

خذُوا يا قادةَ الفُرْس أخاكم إنه جُنَّا

قائد : أميرى خَرَفَ الشيخ فلُمْه أو لُم السِّنَّا

قمبيز [يغمد خنجره فى القائد الشيخ ويقول] :

خُذْ طعنةً فيها الشِّفا تَصرفُ عنكَ الخَرَفا

القائد [وهو يتلقى الطعنة] :

يا ويحَه قد عادَه الجنُون بل أنا حين هجتُه المجنون

قمبيز : وأبيس معبودُهم أين هُو؟

قائد : هو العجلُ

ثانى : وهو الذى أَلْهُوا

وزير : ثوَى العجلُ فى حُجرات الجلال

قائد : وقد نعَّمُوه وقد رَفَّهُوا

الثانى : ولبس إلهاً ولكنَّما على الشعب كهَّانه موَّهُوا

أحد القائدين [لزميل له] :

هُمْ يعبدونَ العجْلَ يا أزْدشر

أزدشر : يا لك من أحمق نحْنُ نار

ونحن ؟

الأول : النار إلهٌ لنا

أزدشر : ما الفرْقُ بين العجل والنار

الأول : أفيلسوفٌ أنتَ ؟

أزدشر : بل ملحد

الأول : أنت؟ إذن عِشْ وامض بالعار

ما كانت النارُ بمحتاجة إلى قليل الدِّين كفَّار

قمبيز : وأين هو العجل ؟

قائد : فى قُبَّة تليق لكسرى وآبائه

قمبيز [مغضباً مثيراً] :

أمسكوا الكلْبَ خُذوه ، أدبوه

ما أبى العجلُ ، بل العجْلُ أبوه

القائد : الويل لى جُنَّ

صديق له فى أذنه : ما جُننَّ إلا هلاكا

فأنتَ ساوَيْتَ بالعجل مولاكا

آخر له : أهكذا ياأحمقَ السلوكْ أهكذا يُخاطَبُ الملوكُ

[يؤتى بالعجل ، فيثور لرؤيته جنون قمبيز]

قمبيز : والآن ماذا رأيتمْ وما الذى تُفتُّونا

وما الذى نحنُ بالعجل يا تُرَى صانعونا

قائد : يَصُبُّ كسرَى عليه من البلاء فُنُونا

آخر : عَلِّقْهُ بين الأرض والسماء واتركْهُ للغربان والحداء

آخر : إدفنْه فى الأرض حَيًّا وهِلْ عليه التُّرابا

الأول : إذبحْه ذَبْحَ الخروف

الثانى : اخنقْهُ خَنْقَ الدَّجاجة

آخر [بتهكم]: إصلبه فوقَ عمود من هيكل المعبود

وزير : إحرقْهُ مولاىَ بالنار

قمبيز : إخسأ فهذا أعظَمُ العار

ماذا يقولُ الناسُ عنا غداً ألقوْا إلى النيران بالفار

قد دنّسوها وهى معبودهم من جثة العجل بأقذار

(ويظهر الغضب على قمبيز فيقول له قائل منهم) :

قائد : مولاىَ ما ذاك فارٌ بل ألف فار وفار

آخر : يا سيّد الأرض أبشرْ رأىُ الوزير أصابا

غداً يقولونَ بمنفيس تغذت النارُ بأبيس

قمبيز [مقتنعاً ومقهقهاً] :

أجل غداً يُقال فى الأخبار العجْلُ قد بات طعامُ النار

(ثم يقبل على أبيس ويخاطبه] :

إله النيل لِمْ تَغْضَبُ لِم تكسرُ جفنَيكا

تأمّلْ شَبَحَ الموت ألَمْ يبدُ لعينيكا

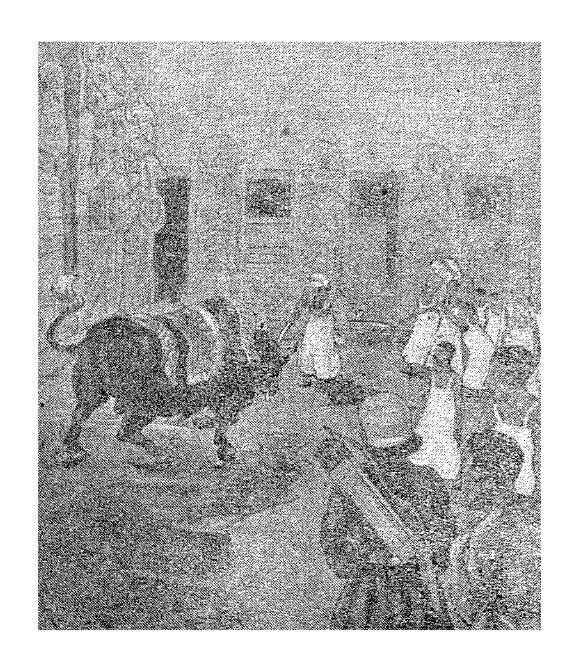
وهذا خنجرى الماضى فخذه بينَ قرنيكا

(ويطعنه ثم يتراجع خطوة ويقول) :

إلهى ما ترَى عينى خيالاتٌ وأشباحُ

وقتْلَى قد غدَوْا حولى وقتلَى غيرُهم راحوا

وَجَرْحَى جذبوا ثوبى وجرحَى غيرُهم صاحوا



وهذا خنجرى الماضى نخـــذه بين قرنيـكا

هذى عواقبُ بغْى هذا القصاصُ المُتاحُ

لَابُدَّ من عدلِ يومٍ يرتَدُّ فيه السلاحُ

قائد: ويح لقمبيز

آخر: وَيْحَ لَه جُنَّا

الأول: مَنْ يُقْتَلُ اليومَ مِن الشَّقِى منَّا

قمبيز (مستمراً):

هذا أخى يصيحُ بى وتلك أختى تَنْتَحب

وآخرٌ يسألُنى أينَ دَمى؟ أينَ؟ أجبْ

قائد آخر: هذا ضميرهُ صَحَا هذا ضميرهُ انتَبهْ

حتى رأى آثامَه ولم يكُنْ لها آبهْ

آخر لنفسه: ثارَ بهِ ضميرهُ

(ثم لزميل له همسا):

وما الضميرُ حيدرُ؟

حيدر (للزميل):

سريرةٌ تندَمُ أحياناً وحيناً تزجرُ

ويرجعُ الناسُ لها إلا امرؤٌ لا يشعرُ

الأول (ورستم لحيدر) :

وأينَ منزلُ الضميرِ ؟

حيدر : موضعٌ منَ الجَسَدْ

انظُرْ . هنا رُسْتُمْ القلبُ وها هنا الكبِدْ

[ويشير إلى أعلى الصدر وأسفله وإلى ما بينهما (المعدة)] :

(ثم مستمراً) :

وها هنا الضميرُ بين القلب والكبد قعدْ

رستم : هنا الدُّجاجُ والحمامُ ها هنا بلا عدَدْ

حيدر : والبَطُّ أيضاً والأوَزُّ والحمارُ والوتَدْ

وكُلُّ ما تسرقُ أو تَخْطَفُ من هذا البلدْ

رستم : حيدرُ هل يَجتَرِعُ الضميرُ أو هل يزدرد

وهل له حوصلةٌ وهل له رجلٌ ويدْ

حيدر : يا أخى إنَّ الضَّميرَ النَّفْسُ أو بيتُ الشُّعورْ

وهو فيلٌ فى صدورٍ وهو فأرٌ فى صدورْ

وجبالٌ من حديدٍ أو جِبالٌ من حريرْ

وسعيدُ الناسِ من لم يَشْكُ من وخْزِ الضميرْ

قمبيز [يقوم هائجاً وكأنما يفر من شبح شقيقه الذى قتله] :

ماذا بيَا ؟ ماذا بيا هــذا شقيقى بُرديا

هــذا شقيق بُرديا وخنجرى فى صدرِه

جئتَ أخى تجزِى أخا كَ عن قبيح غدره

[ثم يزداد هياجاً ويفر من شبح أخته التى قتلها] :

أتوسةُأختىألاتصفحين أتوسةُزوجىألاتغفرين

(ثم ينظر يميناً ويساراً وهو كالمجنون ويقول) :

آه لِيَهْ آه لِيَــهْ ما هـذه الزَّبانيَــهْ

كَتيبةٌ بموضع وعسكرٌ فى ناحيَهْ

وأرؤسٌ بوهْدةٍ وأرجلٌ برابيَــهْ

كلٌّ يصيح رُدَّ رو حى رُدَّ لى دمائيَهْ

قمبيز (مع الأشباح) :

ويلى من الماضى ومن أشباحه

هذى خيالاتُ الزمانِ الخالى

عَجبُ العجائبِ ويحَ لى ماذا أرى

شَبَحَ . أجَلْ شَبحٌ وطَيْفُ خيال

* * *

شبحٌ كالمَلَكِ الوا فى اِعينَّ يــلوحْ
شبحٌ كالزنبق النـــا عِم يَغْـدو ويروحْ
ظَهـرَ الحسنُ عليه وسرى الطيبُ يفوحْ

* * *

تمثالُ نتيتاسَ حول مذاهبى أحببْ بنتيتاسَ والتمثالِ
ما بالهُ ألقى علىَّ سكينةً وأراحَ وجدانى وأنعم بالى
زوجاه نتيتاسُ ملْكةَ فارس
مالِى حُرِمْتُ حنانَ قلبِك مالِى
ياليتنى لم أسمع الواشى ولم
أخرج حِيالكَ من قديم ضَلالى
قد ساءَ حالى فى غيابِك فارجِعى
هيهاتَ بعدَك مِن يرقُّ لحالى
أأراك عندى والأمورُ رخيَّةٌ
وأراكِ عند شدائد الأهوال
بالله ياطيف الحبيبةِ قلْ لها خلَّفتُ قمبيزاً بأسوأ حال

صفنى لهـا تعسأ كما شاهدتنى
قد عادنى صَرعى وجَـدَّ خَبالى

يا بنتَ مصرَ ويا يتيمةَ تاجها
عودى فداؤُك دولتى ورجالى

[ثم مستمراً] طابَ وردُ الحمام يا نفسُ هَيَّا
خنجرى خنجرى إلىَّ إليَّا

(ويطعن نفسه بالخنجر فيقع)

جماعة من الفرس :

يا فُرسُ يا قومَ كسرى النَّـــازلينَ السَّحابا
كسرى مضى للنـارِ شُـــقُّوا عليه الثيـابا
وحَطِّمُوا فى ثَراهُ سيوفكم والحـــرابا

[كبراء الفرس يتشاقون الثياب]

أحدهم لآخر :

هاتِ ثيـــابَكْ خُــــذ ثيـابى
تعالَ خُـذ قميصى. واعْطِـنى قميصَكْ

(يمزق كلاهما قميص الآخر)

مصرى من الحاضرين (لآخر همساً) :

أنظر أخى الفُرسَ وما نابَهُمْ   شَقُّوا على المجنون أثوابَهمْ

الكهان (لجماعة المصريين) :

يا أيّها المَرْضى اسجُدوا   على دماءِ آبس
ويا أصِحّاءُ انْهَلُوا   من دَمِهِ المقدّس
بالشقَاءِ جَسَد   فى دِمِهِ لم يُغمَس

(المصريون يتشاقون الثياب)

فارسي إلى آخر :

أنْظُرْ إلى أبناءِ مصـ   ـرَ فإنّ أمرَهمُ عُجابْ
أنظـر ألستَ تراهُمُ   شقُّوا على العجل الثيابْ

وزير فارسي (يخطب فى المصريين):

أيّها الكُهّان من شَتَّى الرُّتَبْ
عَظُمَ الخَطْبُ فما تُغْنِي الخُطَبْ
إن كسرى تغفِرُ النارُ له
كان فى مَصرعِ أبيس السببْ

أيهـــا الشَّعبُ

مصرى لرفاقه : أميـــلوا إسمعُـــوا

كيف يُنْشِى المستبدُّونَ الخُطَبْ

الوزير [مستمراً] :

قد أتى قمبيزُ كسرَى ما أتىَ

وهو مدفوعٌ بسلطانِ الغَضَبْ

مصرى [لأخيه بصوت منخفض] :

ليتَـه بالَ على نيرا نِـكم بَوْلَةً تُطفِى لظَاهَا واللَّهَبْ

الخطيب الوزير :

نحن لا نُسألُ عن فَعْلتِـه

قد جنَى الرأسُ فما ذَنْبُ الذَّنَبْ

أيُّها الكُهّانُ قد حَل على ربِّكم أبيسَ مقدورٌ غَلَبْ

[ثم ملتفتاً بالشعب قائلا] :

مالى أرى من جانِبِ الشَّعْبِ

بـــوادر الفِتنةَ والشغبِ

قائد فارسى: ما أغْضَبَ الشّاة من الجزّارِ

حـــذارِ حلمَ فارسٍ حَذار

لا تِقفُوا لسيفِها والنَّار

[تتفرّق الجماعة هنا وهنا ويقف جماعة من المصريين فيقول أحدهم)
أحدهم (لزميل له) :

ماذا جَرَى ؟

زميله : أما تَرَى ؟ على الثَّرَى هـذا الدَّما
آخر : آبِسْ عُقِرْ آبِسْ نُحِرْ ساءَ الخبرْ ما أشْأما
الثانى : حامِى الحِمى ما اسْتَسْلَمَا لكنْ سَما إلى السما
آخر : لقد وهمتَ يا أخى أَفِقْ وراجعِ الرشَدْ
أبيسُ فارق الوتَدْ وسار رحلَةَ الأبد
الأول : العَمى يا أخِى العمَى اترِكِ الأرضَ والدما
وتأمَّلْ معى السَّما اتخذَ الجوّ سلَّما
هو هذا تَبَسَّما وعلى الجمعِ سَلَّما
وإلى الخُلْدِ قد سَمَا
الثانى : عجيبٌ شأنُ أبيسٍ لأبيسَ جناحانِ
وهذا الرِّيشُ من درٍّ وياقوت ومَرْجانِ
وهذا هو يرعاكَ بعينيهِ ويرعانِى

آخر [لزميلين له] :

أنظر «أ نِى» أسمع «فُتَا» أبيسُ بالفُرس سَحَر
جَنَّنَ قمبيزَ ولَمْ يَزَلْ به حتى انتحرْ

شيوخ الكهان :

بُورِكْت يا أبيسْ يا صاحبَ المجد
يا موضعَ التقديسْ ومنزلَ الحمدِ
سِرُّكَ فى منفيسْ وأنتَ فى الخُلد

شبان الكهان :

أبيس سِرْ للسماء وانزل مع الخالدينَ
وخَلِّ تلك الدماء تُحاسِب المعتدين
أنتَ سماءُ الجلال حِمَى الديارِ الأمين
القرْنُ كالشمس طالْ وعَزَّ فى العالمين
يا صورَةً من فُتاحْ ومن سناه المبين
هذا شُعَاعُ الصباحْ أمْ غُرَّةٌ فى الجبين

(ختام)

نظرات تحليلية فى الرواية

١ — تمهيد

قصد « المؤلف » إلى أن يقيم دعائم الرواية على المعنى السامى الذى ينتهى إليه شرف الإنسانية ، وهو التطوع بالنفس إجابة لداعى الوطن فى ساعة العسرة . ولقد تراءت فى رواية « قمبيز » فكرة الفداء والتضحية بالنفس من أجل الوطن ، وفى سبيل وقايته وسلامته . فمهما تنوعت حوادث « الرواية » ، واشتبكت مواقفها ، وراعت مشاهدها فلست مستبقياً فى قرارة نفسك إلا إعجاباً بالغاً « بنتيتاس » تلك الفتاة الأميرة المصرية التى اختارها «المؤلف» رمزاً للتضحية وصورة للفداء من أجل الوطن وذكرى الجدود ومهوى الأفئدة .

ولقد وفق «المؤلف» توفيقاً كبيراً لأن يصوّر جوانب تلك النفس العالية ، وأن يصبغها بالألوان التى تصبغ النفوس البشرية من غضب ، وحقد ، وهياج ، وسكون، ورضا، وسخط ، وحب ، ووفاء ، غير أنه استطاع إلى جانب ذلك أن يجعل فيها لون التضحية بالنفس والجود بها أسطع لون ، وأبهر منظر . واستطاع أيضاً أن

يشتق من تلك الفضيلة — فضيلة التضحية — جميع الخلال الكريمة من ودّ وتعطف وبر ورحمة . ثم أبان كيف يمتزج معنى الفداء بالنفس فتعظم النفس وتستحصد وتتغلب على جميع الهنات والنقائص البشرية .

وإنى لزعيم بأن كل مطالع لتلك « الرواية » سيرى أن قد اجتمع فيها : الحكاية ، وحسن الأداء ، وسموّ المغزى . وسيرى أيضاً أنها أشبه « بمرشح » تلتقى لديه ينابيع الحياة . ثم تروق وتنجلى عن الحكمة الصافية ، والعظة البالغة وبينهما فضيلة إفناء النفس لحياة الوطن وتلك أسمى فضائل الوجود .

وإنى لزعيم أيضاً بأن المتتبع للرواية إذ يخلص إلى نهايتها سيتردد فى تسميتها ! ! يسميها رواية (قمبيز) أم رواية الضحية المصرية لإنقاذ الوطن المصرى ! !

٢ — لمحة تاريخية فى عصر الرواية

فى سنة ٥٦٩ قبل الميلاد كان يحكم مصر الأسرة السادسة والعشرون وكانت عاصمة الملك (منفيس) ومقر البلاط (صا الحجر)

وكان على العرش حين تبدأ أحداث الرواية (أبرياس) وكان ملكاً قد اشتهر بالضعف السياسى فى الداخل والخارج . فما هو إلا أن أتيحت فرصة لبعض قوّاده واسمه (أمازيس) حتى نادى بنفسه ملكاً على مصر فى أثناء ثورة عسكرية فى (ليبيا) وعاد بعد ذلك إلى مقرّ الملك فأنزل (أبرياس) عن عرشه وقتله ثم استوى هو على عرش مصر .

وكانت سياسته ترمى إلى الاستكثار من العناصر الأجنبية يحشرهم فى صفوف الجيش ويتخذهم عدّة لنفسه وبخاصة طائفة الإغريق الذين اصطفاهم ليكونوا عوناً له فى صدّ غزوات الفرس عن مصر .

ولقد بالغ (أمازيس) فى اصطناع الأغريق ، وأوسع لهم فى جنبات الوادى ، وأقطعهم مدينة (نقراتس) فى الدلتا . فاصطبغت بالصبغة الأغريقية واستبحر عمرانها ، وراجت أسواقها التجارية ، وكان ذلك موثقاً ومدعماً ما بين (أمازيس) وبين الأغريق ، غير أن تلك السياسة قد ألبت عليه المصريين الذينَ رأوا سيل الغرباء يتدفق على بلادهم ويتسرب إلى نواحى

الحياة الاجتماعية والعمرانية والسياسية ، وفوق هذا فقد صار جيش البلاد أوشاباً وأخلاطاً من زمر الشعوب ليس له بأس ولا لديه حمية . ولم يبق للمصريين أنفسهم مقام فى صفوف الجيش فانصرفوا عن الجندية وشغلوا بالنعيم والترف والبذخ وامّحت منهم روح البسالة التى كانت شعار الجندى المصرى .

* * *

فى ذلك العصر كان (قمبيز) ملكاً على فارس وكانت عاصمته (سوس) وكان محباً للغزو والفتح وكان لا يزال يطمح فى غزو مصر ويتربص بها الدوائر ليجعلها قاعدة حربية فى غزو بلاد الغرب ولا سيما (قرطاجنة) التى اشتمل نفوذها سواحل البحر الأبيض المتوسط .

* * *

وتروى الأخبار هنا أنه قد خطب بنت (أمازيس) ملك مصر لتكون زوجاً له . فلما زفت إليه وتبينها عرف أنها ليست بنت (أمازيس) فغضب وجنّ جنونه ، وكان مصاباً بالصرع

والجنون المتقطع فما هو إلا أن شرع فى غزو مصر لينتقم من ملكها الذى خدعه .

ويروى مؤرّخو الأغريق أنفسهم أن أحد الجنود اليونانية واسمه (فانيس) كان قد انتظم فى سلك الجيش المصرى وارتقى إلى منزلة القوّاد . ثم أبت له نحيزته إلا أن يخون مصر وملكها ففرَّ إلى فارس وأنهى إلىقمبيز خطة لغزو مصر وأبان له عن أيسر السبل لفتح البلاد فشرع يتأهب للغزو . وقبيل زحف الجيوش الفارسية وردت إليه الأنبـــاء بموت (أمازيس) وتولى ابنه (أبسمتيك) على عرش مصر .

* * *

غزا (قمبيز) مصر براً وبحراً فهوجمت مدينة (الفرما) بحراً وزحفت الجيوش البرية وبعد مقاومة شديدة استولى الفرس على البلاد المصرية وأسر (أبسمتيك) وكان (قمبيز) أوَّل عهده بالفتح متسامحاً ، ولكنه عاد فحنق على المصريين فهدم المعابد والهياكل وقتل بيده العجل (أبيس) أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة ثم مات بعد ذلك .

٣ ـ حوادث الرواية

أمكن « المؤلف » أن يحرص على وقائع التـــاريخ ، وأن يؤدى حقه غير منقوص ، ولـكن تاريخ تلك الحقبة الغابرة لم يتأت له أن ينال من التمحيص العلمى ، ولا أن يعنى بحيـــاة الأشخـاص الذين عاشوا فيه عناية تدع لهم فى نفوس الناس صورة كاملة الألوان ، بل قنـع واصفو التاريخ العتيق بصور يلقى عليها الناس أبصارهم متعجلين لا يحققونهـا ولا يعرفون منها ماوراءها ، غير أن « مؤلف » رواية قمبيز تلقى العنـاصر الأولى للحوادث وللأشخـــاص وهو « شاعر » سرى الخيال ، مرهف الإحساس ذو بصيرة نافذة وخبرة بالتصوير ، فما زال بحوادث التاريخ وأشخـاصه يجلوها ويفصلها ، ويكمل ألوانهـا ، ويبرز خصائصها ويذهب إلى ما وراء الظواهر فيتعمق فى الدراســة ليستخرج دقائق تلك الحياة النفسية والوجدانية التى اضطربت بها الأفراد والجمـاعات فأنشأت ما أنشأت من بطولة وغزو ونصر وهزيمة وحب وبغض وعقاب وفناء . ونستطيع أن نوضح ذلك بمثال من صنيـع المؤلف :

تلقى المؤلف عن التاريخ « أن قمبيز » العاهل الفارسى كان من القسوة والعنف ، وكان من الجنون المتقطع بحيث هانت عليه الدماء والأرواح فى برهة واحدة من نوباتصرعه وجنونه يفتك بأخته وأخيه بعد أن يكون قدروىالثرى بدماء العالمين ، هذا إلى ما فتن به من الغزو والقهر وتوسيع رقعة ملكه شرقاً وغرباً .

تلقى « المؤلف » ذلك عن التاريخ فما زال يبرزه بفصول الرواية فى شتى الصور ، ومختلف الأشكال ، ولم يشأ أن تفارق شخصية « قمبيز » الحياة حتى يحضرها فى الساعات الأخيرة ما قدمته من سيء الأعمال ثم يشعرها بشناعة الآثام ، ثم يريها كيف يكون تأديب الأقدار ، لكل طاغية جبار .

وإذا تحدث التاريخ إلى « المؤلف » بأن المملكة الفارسية قد انبسطت رقعتها ، وترامت تخومها ومع هذا تمزق هذا الملك العريض شر ممزق وتقلص ظله وشيكا .

يتلقى « المؤلف » ذلك ثم ينظر إليه النظرة الفاحصة الشاملة فإذا بتلك النظرة الشاعرة النافذة تجمع الأسباب والمقدمات وتجلوها فى ثلاثة أبيات من الرواية على لسان فارسى يقول :

ليت شعرى فلست أدرى إلى أىّ بلاد « قمبيز » يدفع فارس
قد فتحنا الفضاء شرقاً وغربا وملكناه من عباب ويابس
اتسعنا من الفتوح ! يقينا غير أنا لم نفتكر بالحارس

فنى الشطر الأخير ركز « المؤلف » رأيه فى سياسة الفرس الاستعمارية ، وأسباب فشلها وتعفية آثارها .

وبعد فالمؤلف « شاعر » وفضل الشعراء على غيرهم أن يبعثوا فى الحوادث حياة ، وأن يفرغوا عليها ضياء ، حتى يمض فى جنباتها بريق من النور فتبدو الحكمة ويبصرون الناس منها بما لا يبصرونه.

٤ — الحياة المصرية فى عصر الرواية

استطاع « المؤلف » أن يصف الحياة المصرية وصف المؤرّخ الصادق ، وأن يصوّرها تصويراً دقيقاً ، واستطاعت ريشته أن تلوّن ما دق منها وما جل فلم تقتصر على ما هو بارز وناتىء بل تجاوزت ذلك إلى ما هو باهت وخنى ومبهم . بل تعدّت ذلك إلى وصف النفسيات والأخلاق والعواطف المصرية .

وقد قدّمنا أن سياسة « أمازيس » قضت بأن يستكثر من أخلاط الأجناد ولا سيما الفيانقة اليونان ، فكانت المظاهر الأغريقية من أجل ذلك تكاد تطغى على الأصباغ والأوضاع المصرية حتى استنكر المصريون تلك الحال ، وبرموا بها ومقتوها . وقد صوّر « المؤلف » ذلك على لسان مصرى فى الوليمة الكبرى يقول لصاحبه :

تأمل القصر « منا » وانظره أرضاً وسما
أنظر تر الأغريق فيه هم لفيف العظما

ثم يقول مصرى آخر لصاحبه :

تأمل القصر «خوفو» أفيه من مصر شى
أليس فرعون فيه كأنه أجنبي
فأين حفار مصر وفنه العبقرى

وقد يبدو سخطهم على الأجنبي الدخيل فى حوار جرى بين فارسيين فى الرواية فأحدهما يطلب إلى صاحبه أن يصف له ما لقيه فى جولته « بمنفيس » فيقول :

... ... كيف وجدت البلد ؟
وكيف احتقارهم للغريب إذ قام فى شأنه أو قعد ؟
وكيف عيونهم حوله إذ حملته احتمال الرمد ؟

* * *

وقد صوّر « المؤلف » ما يعتلج فى نفوسهم من هموم وآلام. وما يخافون ويحذرون من إغارات الفاتحين ، وما يبدو على وجوههم من الريبة والشك فى هؤلاء الغرباء الذين ملؤا شعاب الوادى . فقال على لسان فارسى من رجال الوفد القمبيزى :

تأمل (قباز) القوم وانظر وجوههم
وجوه عليها للهموم سحاب
ألست تراهم كما نقلوا الخطى
لهم جيئة من ريبة وذهاب

وهم مع هذا كرام للضيفان ، لا يألونهم حفاوة وترحيباً :

ولكنهم ما قصروا عن ضيافة
طعام ونزل طيب وشراب

فخرهم بجنسهم : وشاء « المؤلف » أن يبرز ما عرف عن المصريين قديماً من فخرهم بأنهم أبناء الشمس وأبناء الآلهة ، وأن هذا الخلق لم يفارقهم حتى وإن قعدت همتهم ، وأمحت بسالتهم :

لهم مثل ما للأسد بالجنس عـــزة
ضوارى الفـــلا عند الأسود كلاب
هم الشهب ، والناس الجنادل والحصى
وتبر الـــثرى والعالمون تراب

فنونهم وآدابهم : أما فنونهم وآدابهم وحضارتهم وسلوكهم « فالمؤلف » يصفها على لسان فارسى فيقول :

وكل الذى صاغوا من الفن آية وكل الذى قالوا هدى وصواب

وفارسى آخر يقول :

ولم أر مثل صناعاتهـــم سمواً وبعداً عن المنتقد
ولا مثل أخلاقهـــم مبلغاً من الفضل أو من خلال الرشد
إذا مر يافعهـم فى الطريق بشيخ تنحى له أو سجد
... ...
وآثار فن تروع العقول وأجسام موتى تعيش الأبد

الروح الحربى : كان الروح الحربى إلى ذلك العهد قد ضعف فى نفوس المصريين لكثرة ما اندس فى الجيش فى أخلاط الزمن حتى لم يعد جيشاً مصرياً على الحقيقة . وقد انصرف المصريون عن الجندية إلى حيث يستظلون بظلال الدعة والنعيم والرفه . فلما جاء وفد فارس قبل غزوة « قمبيز » وجاس خلال الديار لم يجد فى القوم بأساً ولا فروسية وإنما رأى فى الجند المصرى صوراً وتهاويل وزخرفاً يتزين بها حرّاس القصور لا حراس القلاع والثغور . وصف ذلك كله المؤلف وصفاً دقيقاً فقال على لسان الفارسى الذى جال « بمنفيس » حين سأله رفيقه :

ولكن (زفيروس) كيف الجنود؟ وكيف الحديد وكيف الزرد
وهل كنت تلقاهم فى الطريق وتنظر أظفارهم واللبد

فأجاب :

أخى ما رأيت بمصر الجنود ولم يأخذ العين منهم أحد
سوى فتية من جنود القصور وضباطها فى الثياب الجدد
يروحون فى الخوذ اللامعات ويغدون فى الذهب المتقد

ويرد عليه الأول :

إذن هو ملك بلا حائط رقيق الأواسى ضعيف العمد
خلا الوكر من صرخات العقا ب ونامت عن الغاب عين الأسد
أولئك لا فى حماة الديار ولا فى العديد ولا فى العدد
طواويس فى عرصات القصور تروق تهاويلها من شهد

وقد أبدع المؤلف فأودع فى صورة شعرية ، وفى بيت واحد حالة المصريين الحربية على لسان « فانيس » الذى كان قائداً فى الجيش المصرى وخانه وفرّ إلى فارس :

إن ورد السلم من كثرته نسيت أظفارها فيه الأسود

ثم فصل تلك الصورة فقال :

حشر اليونان فى رايته وتراغى الزنج واندس العبيد
وغدا كل طريد لم يجد سبب الرزق ، أتى الجيش يصيد
وعلى لسان « نتيتاس » : — .... (قتل النعيم حمية الشبان)

تلك الحالة النفسية للجيش التى وصفها المؤلف أضعفت فيه روح المقاومة ، ومهدت للفتح كما رأى المؤلف ذلك فقال على لسان الواصف الفارسى لمصر :

فما أنت راء سوى جنة هى الخلد أو طيفه فى الخلد

يهب عليها غداً عاصف من الفرس أنى تمشى حصد

جوّ مصر السحرى : مصر دار السحرة ، وسحرها بهر العالم وجاء على الألسنة ، وفى الأسفار حتى الكتب السماوية ، وقد استطاع « المؤلف » أن ينقلنا أثناء الرواية إلى جوّ كله سحر وصور ساحرة . وكان سبيله فى ذلك أن أظهر على ألسنة الوافدين من الفرس ما أحسوه فى أرض مصر ، وما غمرهم من هذا الجو ، الساحر ، حتى لقد تحولت نفوسهم جميعاً إلى منبع من منابع السحر ، وانطبعت فى أذهانهم خيالات الساحرين . فهذا فارسى يقول لصحبه وهم بمصر :

ياصحب كيف ترى تقضون ليلكم وكيف نومكم فى هذه الدار

فيجيبه صاحبه :

أما أنا فإذا استلقيت طوف بى شتى الخيالات من سحر وسحار

... ...

ولا تزال بى الأرواح طائفة مناجيات بألغاز وأسرار

وبلغ « المؤلف » أقصى ما أراده من جعل هؤلاء الفرس ، وهم بمصر لا يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم خيالات مصر السحرية لا فى يقظة ولا فى منام فارسى أراد أن يقص على رفاقه ما رآه فى نومه من تهاويل وأخيلة فما يكاد يبدأ فى قص حديثه حتى يسرى الرعب والخوف فى نفوس إخوانه من أن تحضرهم ساعة الحديث أرواح خبيثة وتستمع إليهم . . ويقول له أحدهم :

صه تكلموا بهمس

فيبدأ صاحب الحلم فى صوت خافت يقول :

رأيت عصفوراً برأسى إنس
أقبل حتى صار عند رأسى
فما ملكت عند ذاك حسى
ثم صحوت فوجدت نفسى
منطرحا أغط فوق الكرسى

ذلك بعض ماقصد إليه المؤلف من تصوير هذا الجوّ السحرى بمصر وقد وفق إلى إبراز تلك الصورة فى غير موضع من الرواية ، وكان توفيقه عظيما باهرا .

٥ — صور تحليلية لأهم أشخاص الرواية

قمبيز

طاغية جبار : أبرز «المؤلف» تلك الشخصية الجبارة السفاحة ، وأبرزها عنيفة قاسية إذ يقول «قمبيز» نفسه :

أنا قمبيز بن كسرى أنا جبار الوجود
وأنا النار أصولى وبنو النار جدودى
ويل فرعون ومصر من جنودى وبنودى

ويقول :

أنا قمبيز بن كسرى أنا وحش أنا غول
لست «بالعجل» أبالى وعلى «النار» أبول

وإن تلك الصورة لترينا كيف تجرّد هذا الإنسان من كل ما يقيد وجدان الشعوب على اختلاف نزعاتها وعلى تباين فهمها لمعنى العبادة والخضوع والاعتقاد . . .

أما قسوته وشناعته فى أنفس الناس فقد تمثلت بمثل شتى ولكن يجمعها كلها الطغيان والجبروت . فهذا فارسى من رجال

وفده الذى بعث به ليخطب له بنت فرعون مصر . سمع أرجافاً فى المدينـة (أن بنت أمازيس عروس المليك تأبى المضيـــا) فصاح :

أتحت القبـــة الزرقا . من يسخر بالشاة ؟

ورفيقه يقول له :

من أمازيس ما الأميرة يا مصـ

ـر أفى الأرض من «بقمبيز» يهزا

وما زال (المؤلف) يشكل تلك الشخصية ، « قمبيز » فهو تارة (وحش فى إهاب بشر) ثم يتحدَّث عنه المتحدّث (أنه آدم بظفر وناب) .

صرعه وجنونه : كان له نوبات صرع وجنون تغشاه فتصدر عنه أفاعيل تقشعر لهولهـا الأبدان فهو إما قاتل أخاه ، وإما قاتل لأختـــه . وأراد المؤلف إبراز تلك الصورة فى أثناء الرواية إذ شرع يغتال أخاه وأخته فى ساعة جنونية .

وقد عظم الضجيج ، وعلا الصراخ ، وصاح المستغيث :

العفو يا كسرى الصفح يا سلطان

أخوك . والنـــار ومجدها ما خان

وتقول الملكة : (يا أسفا عاوده جنونه

أما عوارض الصرع ومظاهره وملابساته فقد بسطها المؤلف وألم بها وأخرجها ماثلة فى قول « قمبيز » ساحة حلول النوبة به :

قد رجع الصفير لى   يا ليته لم يرجع
ما بال عينى أظلمت   ما بال ساقى جمدت

وأروع ما صوره « المؤلف » ممثلا حال « قمبيز » بعد أن روّى الأرض بدماء المصريين ، وعاث فى مصر فساداً ، وقتل معبودهم « أبيس » ثم جاءته النوبة فإذا هو يهذى ويقول :

إلهى ما ترى عينى   خيالات وأشباح
وقتلى قد غدوا حولى   وقتلى غيرهم راحوا
وجرحى جذبوا ثوبى   وجرحى غيرهم صاحوا

* * *

هذى عواقب بغى   هذا القصاص المتاح
لابد من عدل يوم   يرتد فيه السلاح

ويروع أحد الواقفين منظر قمبيز :

ويح « لقمبيز » ويح له جنا ! !

حبه لنتيتاس : وشاء المؤلف أن يطلع على ناحية من ذلك القلب القاسى ، فإذا بهـــا عامرة بالحب مأهولة بالود لزوجه « نتيتاس » وليس ذلك ببدع فى سير الجبابرة القساة وقديماً قال القائل :

قسا فالأسد تفزع أن تراه ورق فنحن نجزع أن يذوبا

شرح المؤلف هذا المعنى الذى كشفه مستقراً فى قلب «قبيز» فهو يخاطب « نتيتاس » :

أما أحببتـــك الحـب الـــذى أنت به أدرى
وفضلتـك فى القصـــر على البيضاء والسمـــرا
وقدمتـــك فى الأزوا ج قبل الأخت من كسرى

إذن (قبيز) كان يحب زوجه « نتيتاس » وما ساءه وجرح كبرياءه إلا أنها أخفت اسمها وحقيقة أمرها عنه . ولقد بقى هذا الحب حتى آخر ساعات (قبيز) وهو يودع الحياة ، وتلوح له أشباح السعادة الماضية فيحقق من خيالاتها خيال « نتيتاس » التى هامت على وجهها إلى طيبة فيخاطب الشبح :

شبح المـلك الـوا قى لعيـنىّ يلوح
شبح كالزنبق النـا عم يغدو ويروح
ظهر الحسن عليه وسرى الطيب يفوح

* * *

تمثال نتيتاس حوله مذاهبى أحبب بنيتيتاس والتمثال
ما باله ألقى علىّ سكينة وأراح وجدانى وأنعم بالى
زوجاه نيتيتاس ملكة فارس مالى حرمت حنان قلبك مالى ؟

الندم المرير : وعرض المؤلف لوصف أعقاب تلك الحياة التى ماجت بالبطش وإهدار الدماء وخيانة العهود ، فإذا صورة للندم المرير تتجلى فى قول قمبيز :

يا ليتنى لم أسمع الواشى ولم أخرج حيالك من قديم ضلالى
قد ساء حالى فى غيابك فارجعى هيهات بعدك ، من يرق لحالى

* * *

بالله يا طيف الحبيبة قل لها خلفت (قمبيزاً) بأسوأ حال
صفنى لها تعساً كما شاهدتنى قدعادنى صرعى وجد خيالى

نتيتـــاس

هى التى اختـارها « المؤلف » أميرة مصرية ، رمزاً لمعنى « التضحية » السامى إذ أرخصت حياتها ، وبذلت ما يضن به مخاطرة لحماية وطنها وحياطته . واختارها « المؤلف » أيضاً بنتاً لفرعون مصر المقتول « إبرياس » الذى فتك به (أمازيس) الفرعون الجالس على العرش .

فى تلك الشخصية الخيرة أرانا المؤلف النفس الفاضلة يعرض لها ما يعرض للنفوس البشرية من هنات ونقائص ومع هذا فإن الذى يغمر تلك الهنات والنقائص ، ويطهر مكانها ، ويضعفها أو يمحوها هو المعنى العلوى الأقدس — هو « التضحية » .

هذا المعنى ما زال « المؤلف » يبرزه ويوضحه ويؤكده فى النفوس كلما لاحت « نتيتاس » حتى ظفر بما أراده ، ووفق إلى ما قصد إليه .

فحيثما رأيت (نتيتاس) فى موطن من مواطن الرواية فثم قداسة الأوطان ، وثم فضيلة الفداء وهى الشىء الذى تشرف به الإنسانية . وإنك لشاعر بحرب فى أعماق سرائرها بين ما اختصت به من

فضيلتها العليا وبين ما قد يعلق بالنفوس من حقد وبغض وكره ولكنك ترى الغلبة للفضيلة ، وترى نزوات الهوى ، ونزغات النفس قد تقلصت وغلبت على أمرها .

التضحية بالنفس : عنى المؤلف بأن يصور « نتيتاس » مثالا لها من أول الرواية إلى آخرها فهى تخاطب « نفريت » :

أتيت لأفدى بنفسى البلاد وأرفع عن مصر شر العجم

وهى تخاطب فرعون أمازيس :

جئت أفدى وطنى من سيف « قمبيز » وناره
جئت أفدى وطنى من دنس الفتح وعاره

وهى ترد على تثبيط المثبطين لها أن تدع ملاعب الصبا ، وتسافر إلى الفرس :

ومالى لا أعطى الحياة إذا دعت بلادى ، حياتى للبلاد ومالى

وهى وسط الضجة المرحة ، والكئوس المترعة تخاطب نفسها :

أفيق بنت فرعون فما يزكو بك السكر

... ...

ولكن بين جنبىّ هو أولى به مصر

وتقول (لقمبيز) وهى تصدّه عن غزو مصر :

تغير أنت وتغزو ويحفظ الله مصر

ويجيئها وهى بفارس رسل من مصر فتضرع إلى ربها قبل أن تعرف ما وراء الرسل وتهتف :

(وطنى يا رب لامس بشرّ)

ويخبرها (أمازيس) فرعون مصر قد مات وارتقى العرش ابنه (أبسمتيك) فتهتف :

(تعيش مصر وتبقى)

ويحل الطاغية الفارسى بمصر فيهلك القائم والحصيد ، ويقتل ويبيد ، وإذ هو يقضى فى رقاب المصريين ، ويسومهم الخسف وسوء العذاب .

تواجه (نتيتاس) وهو فى سورة غضبه فتسألها ما جاء بها فتقول :

أتيت أنقذ قومى وموطنى من عذابك

وآخر صورة من صور تلك (التضحية) الفريدة — أنها وقد استيأست من (قمبيز) ولم تجد منه ماتخاطبه منعقل أوفكر راحت هائمة إلى طيبة تثير النفوس ، وتجمع القرى وتقول :

والآن إلى طيبة والصعيد لحشر الدعاة وحشد الجنود
وقهر العـــدو وإرغامه وقذف المغير وراء الحدود

الضغينة والحقـــد : « نتيتاس » بنت ملك . قتل أبوها خيانة وغدراً ، وجلس قاتله على عرشه ، فليس عليها إن هى حقدت على قاتل أبيها ، وأسرت له الضغينة والحفيظة . غير أنها لم تكن مسرفة فى حقدها ، ولا طائشة فى عدائها ، بل شاءت نفسها الحكيمة أن تفدى عرش مصر وإن كان الجالس عليه قاتل أبيها .

تبدو حفيظتها على الملك (أمازيس) إذ تخاطبه :

ليس بين ابنة وساقى أبيها غصة الموت من سلام وردّ
إن حقدى عليك دين وبر رب لا يذهب العقوق بحقدى

ويعجب بها فرعون إذ تقدمت للفداء فيتحبب إليها بقوله :
(بخ ! بخ بنت أخى) فتجيبه (أنت يا قتل : عمى ؟ ؟)
وتخاطبه مستهزئة : (تقتلنى مثل أبى) .
وتناديها (نفريت) ابنة الملك : نتيتاس أختى ؟
فتردّ قولها : أختها ما أضلها ! متى كان بيتى مجرمين وآلى ؟

الحب : أحبت (نتيتاس) أصدق الحب وأوفاه . فلم يشب هواها القديم (بتاسو) رثيث ولا وهن ، أحبته إذ هى بنت فرعون القائم على العرش ولم تكن تدرى أنه :

يعشق الجـــاه والغنى   لا يحب الغوانيـــا

ولكنها رأته بعد أن حال حالها ، وثل عرش أبيها يصطنع غراماً جديداً بابنة فرعون الجديد (فتاسو) فى رأيها :

(... كالنحـلة من زهر لزهر)

أو (... كالنعمة من قصر لقصر)

وهى تأسى على هذا الغرام القديم ، وتنقم من (تاسو) هذا العبث بقلوب العذارى فتخاطبه :

لعبت بى فيما مضى عابثـا   فالعب بغيرى اليوم كالعابث

أقسمت لى فاذهب فأقسم لهـا   فأنت أهل القسم الحـــانث

على أنها وهى تغاضبه وتعاتبه ، وتحاول أن تسلوه وتنسى حبه ما برحت تشعر بوقدة الحب ، وما برحت تناجى نفسها (بتاسو) وعهود (تاسو) . وتخاطبه على طول النوى ، وبعد الشقـــة :

(إن غبت عن عينى فأنـ ـت فى سوانح الفكـر)

وتراجع وصيفتها التى تنهاها عن ذكر هذا الغادر :

(أنا أفديه يا تتـــا بحياتى وإن قتـــل)

ثم تعلن رأيها فى الحب بجلاء فتقول :

(ما الحب إلا التضحية)

إكبارها لزوجها : لما أبرز المؤلف تلك الصورة على خير مثال ، جمع فيها ما تشتت من صفات الكمال الإنسانى . . (فنتيتاس) وإن كرهت قساوة زوجها ، ونقمت منه غزوه لبلادها كانت معه مثال الزوج المنصفة فهى تكبر « قمبـــيز » إكباراً وتقول لوصيفتها:

صدقت تتا . هو زين الشباب إلـه القنـــا قمر الغيهب

إذا غلبت فى القتال الملوك وفى الســـلم عز فلم يغلب

يسيطر كالشمس ســــلطانه على مشرق الأرض والمغرب

حزمها وعقلها : هى حازمة عاقلة فى الساعات العصيبة ، فلم يعزب رشادها وزوجها (قمبيز) يقذف بالحمـــم ، ويرمى بالشرر لغزو مصر بل أخذته بالحكمة والاقناع وقالت له :

(عد إلى الرشد ما جنت مصر يا قمـ

ـبيز ملذنب أهلهـــا الآمنينا)

ثم طفقت تصده عن الغزو وتنذره عواقب الحرب ببراعة المنطق فهى تخاطبه :

(وأغبى الناس منشعر لحرب توقع أن يصيب ولا يصابا)

وبعد هذا تصعب عليه اجتياز الطريق إلى مصر وتشير فى نفسه التنبه والحذر فتقول :

(وأخشى أن يقول الناس زوجى غــــداة ذهابه نسى الإيابا)

حنوّها وتعطفها : فى ساعة الضنك والغضب وقد اشتدت الملاحاة بينها وبين زوجها لم تغفل عن أنها زوج فجاشت نفسها بأنبل العواطف نحو زوجها الذى جاءه الصرع وهو يغلظ لها فى القول فحنت عليه ، وأخذت تبتهل إلى الله بشفائه :

يا ويح زوجى ويحه هـاج وعاده الصرع

يا نار كونى حوله أدركه يا آمون رع

فخرها بجنسها : أبرز « المؤلف » تلك الصفة فى « نتيتاس » فى مواضع شتى وهى بلا مراء صنو لصفة (التضحية) فإن إعجابها

بوطنها وتقديسها لأجدادها قد نمى فضيلة التضحية فيها من أجل الوطن والجدود فهى تارة :

(بنت الشمس بنت العواهل الأرباب)

وهى تتحدث عن نفسها فتقول :

(والدى فى السماء فهو إله) وتقول :

(أنا بنت الملوك أصلح للملك جدودى تملكوا العالمينا)

الإباء والعزة : لم يفارقها إباؤها ، ولم تند عنها عزتها إذا ما اجترأ عليها عظيم ولو أنه زوجها الجبار فإذا خاطبها متوعداً :

(احذرى أيتها الفتاة انفجارى) أخذتها العزة فأجابته :

(انفجر . ما بى انفجارك ما بى)

وتعالج الوصيفة عزتها لإخضاعها وإذهاب غضبها وتقول لهـا :

اكظمى الغيظ يا أميرة . . .

فتجيبها فى أنفة وكرامة وفى وجه « قمبيز » :

(... ... بل يخرج من حجرتى ومن محرابى)

نفـــريت

ابنـة « أمازيس » فرعون مصر وهى التى أريدت على أن تـكون زوجاً « لقمبيز » ملك الفرس . فأبت أن تزف إليه وهى تعرف ما فى رفضها من الويلات والخطوب التى تحل بأرضها وأوطانها . وقد أخرجها « المؤلف » صورة للأنانيـة والأثرة ليجمع أمامنا ما بين الصورتين : صورة « تنيتاس » صورة الفداء المحبوب ، وصورة « نفريت » صورة الأثرة البغيضة .

الأثرة والأنانية : « نفريت » تعلم أن قمبيزاً أرادها زوجة له ، وأن فى رفضهـا المسير إليه ويلات ونـكبات تحل بمصر لـكنها تقول :

(... ... اعتزمت البقـاء وفى ظل هـــذى الحجر)

ويتجلى استخفافها بالأمور وبعـدها عن مثل الحياة العليا إذ تقول :

لتخسف بقوم عليها البلاد ليستأخر النيل أو ينفجر
فأما أنا فسـأبقى هنـــا وإن غضبت فارس والنمر

المرح والعبث : وهى فتاة مرحة غريرة يلعب بقلبها (تاسو) حارس الملك أبيها كما لعب من قبل بحب (نتيتاس) فإذا رأت تاسو يتحدث إلى فتاة أخذتها الغيرة وشرعت فى تأنيبه :

تاس من أين ومن كنت من الغيد تحدّث ؟؟

وهى تراه فتبدهه :

(تاسو هنا . هات اسقنا !!)

يقظتها وحكمتها : وهى إلى مرحها يقظة حكيمة . فقد أظهرها « المؤلف » مغلوبة على أمرها ، لنوازع صباها ، وضعف همتها . فإذا استيقظت إلى موقف (نتيتاس) بدت حكمتها تطرى ما فعلته الفتاة فتقول :

(لله ما أعظمها عندى وما أجلها)

ألم تصبر عن الوطن المفدى وتسمح بالديار والشباب

وترض بأن تزف غداً مكانى إلى النمر الأمير على الذئاب

خطيئتها وندمها : وبدت « نفريت » تعرض من أعمالها ما كان ذريعة لغزو بلادها وأسر أخيها (أبسامتيك) فندمت ، وراحت تعترف بأنانيتها وأثرتها :

ويحى لقد أودت بى الأنانيه
عشت فما أحببت إلا ذاتيه
ولا افتكرت بسوى لذاتيه
حتى قذفت وطنى فى الهاويه

وقد شاء « المؤلف » أن يودعها من تلك الحياة بالعطف الذى يغمر المنكوبين والنادمين فغسلها بماء النيل من أدران أنانيتها :

يا نيل يا قوام كل شئ
ومانح الحياة كل حى
هى اغسل الذنب العظيم هى

(تاسو)

هو حارس فرعون ، وهو فتى يرى لذات الهوى فى التنقل ، فلها أولاً بقلب (نتيتاس) ثم ثنى بقلب (نفريت) وقد صوره المؤلف غراً قصير النظر.

قصر نظره وغباؤه : وليس أدل على قصر نظره ، وضعف تفكيره ، وغباؤه من ظنه أن يكون له خلوات (بنفريت)

فى مصر (قمبيز) بفارس بعد أن تصير زوجة له كما يلتقى بها فى مصر وفى قصر أبيها و يعجب :

لم لا ؟ أليس فى القصور سعة
نحن هناك مثل ما نحن هنا

وترده نفريت إلى صوابه :

(هذا الغباء منك تاسو عجب ليس المكانان على حد سوى)

ضعف همته : ثم هو ضعيف الهمة فقد كلفه فرعون ليجيب الوفد الفارسى الذى خطب يوم الحفل ابنة فرعون فلم يستطع الكلام واعتذر عنه :

(سيدى من أكون ! مولاى عذرا)

قليل الوفاء : وهو يجازى وفاء (نتيتاس) بالكفران والجحود ، ولا يدرك جلالة الفكرة التى بعثها على أن تدع بلادها ، بل يتعجل بعدها عنه فيقول :

غداً تخلو لنا مصر غداً يصفو لنا القصر
غداً ترحل لا أرجعها البر ولا البحر

تكفيره عن آثامه : تلك الصورة المنكرة المنبوذة أراد « المؤلف » أن ينتهى أمرها إلى التكفير عن الآثام ، والندم على ما فرط ، فأحيا « المؤلف » فيها ما أماتته نزوات الشباب ، وغرارة الصبا ، وشهوات الجاه ودنسه ، واطلع منها آخر الرواية صورة (لتاسو) ناقمة حاقدة على الأجنبي المغير الذى يبطش فى مصر بطشاً . جعل (تاسو) :

... ... يشـــير البـــلاد ويغرى القرى باغتيال الجنود

فيفتك به (قمبيز) وقد رضى عنه وطنه وصفح على لسان (نتيتاس) التى تراه يموت فتقول :

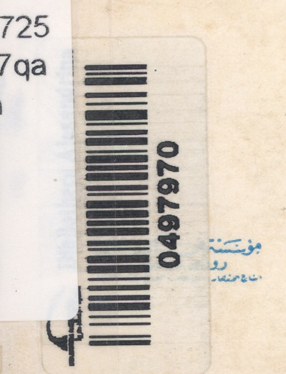
هــــذه ميتــــة عز أمضى تاســـو بسلام
قد صفحنا لك عن ذا ك التجـــنى والآثام

مؤسسة فن الطباعة
روزين شلهوب
٩ شارع الأزهار - شبرا مصر . سجل تجاري ١٠٤١٣٥

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

بمصر ص. ب ٥٧٨



الثمن ١٠ ص